مَقَامَاتُ ذِكْرِ (القَوْمِ) وَ(المَلَأ) فِي النَّظْمِ القُرْآنِيِّ

إعداد
عَابِد بْنِ سَلَامَةَ سَلِيمِ الجُهَنِيِّ
بَاحِث دكتوراه في الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

مقامات ذكر(القوم) و(الملأ) في النظم القراني دراسة بلاغية

عابد بن سلامة سليم الجهني.
قسم البلاغة والنقد ،كلية اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية
البريد الالكترونى:bbd-6@hotmail.com

الملخص.

أهداف البحث : سيكشف هذا البحث في هذا الموضوع إن شاء الله عن أسرار القران الكريم البلاغية، وسحر بيانه الذي أبهر أعظم اللغويين، وأصحاب اللغة الناطقين بها سليقة، وبيان إعجازه المحكم ، وسر اختيار لفظ القوم في موضع ولفظ الملأ في موضع اخر من القران الكريم كما يكشف عن الخصائص البلاغية في سياق الآيات موطن الآيات موطن الدراسة ، منهج البحث : المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي والذي يهتم بالسياق الممتد الوارد في هاتين اللفظتين وسأتتبع الخصائص التركيبية والصور البيانية والسمات البديعية من خلال التحليل للمصحف وتحديد الآيات التي وردت فيها اللفظتان والتي كان لها بالغ الأثر في معرفة المقاصد القرآنية، والأسرار البلاغية وغيرها . عينة البحث : الآيات في القران الكريم التي ورد فيها لفظ القوم مقترنة بلفظ الملأ ، أو لفظ الملأ بشكل مستقل . نتائج البحث : توصل البحث إلى دقة النظم القرآني في اختيار الكلمات . حيث بلغت الدقة مبلغها في اختيار لفظة القوم في سياقها بدلاً من الملأ . وفي سياقات أخرى جاءت لفظة الملأ دون القوم وكان كل لفظة دقيقة في موضعها وبليغة في موقعها .

الكلمات المفتاحية : القوم ، الملأ ، النظم القرآني.

Maqamat mentioned (the people) and (the public) in the Quranic systems.

Preparation:
Abed bin Salama Salim al-Juhani
Department of Rhetoric and Criticism, College of Arabic Language, Islamic University, Madinah, Saudi Arabia.
Email: bbd-6@hotmail.co

Abstract

This research will reveal in this subject, God willing, the rhetorical secrets of the Noble Qur'an, the magic of its statement that dazzled the greatest linguists, and the owners of the language who speak it fluently, and the statement of its precise miraculousness, and the secret of choosing the word of the people in one place and the word of the mullah in another place of the Holy Qur'an as It reveals the rhetorical characteristics in the context of the verses, the home of the verses, the home of the study.

Research Methodology: The approach followed in this study is the analytical approach, which is concerned with the extended context contained in these two terms.

Research sample: The verses in the Holy Qur'an in which the word "people" is mentioned are associated with the word "mullah," or the word "mullah" independently

Research Results: The research reached the accuracy of the Quranic systems in choosing words. As the accuracy reached its limit in choosing the word folk in its context instead of publicly. In other contexts, the word mullah came without the people .

Each word was accurate in its place and eloquent in its place.

Keywords: people,Almala , Quranic

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. أما بعد:

فإن الله ﷻ أودع القران الكريم أسرار البيان، فجاء مستفيضاً بالمعاني والأساليب الآسرة للألباب، المؤثِّرة بِجمالها في نفوس السامعين من المعارضين قبل المؤمنين المحبّين؛ حتى قال قائلهم: «وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لِمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى»[1]..

إن هذا الوصف- والحق ما شهدت به الأعداء- لَيَدُلّ دلالةً واضحةً أن كتاب الله ﷻ القرآن الكريم يُمَثِّل أرقى نَظْمٍ قام على ما وَصف به الإمامُ الخطابيُّ الكلامَ العاليَ مِن "لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم"[2]. وإذا تأمّلت القرآن وجدتَ هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا، وأشدّ تلاؤما وتشاكلا من نَظْمِه»؛ لذلك جاءت عباراته ومعانيه ودلالاته وألفاظه، في غاية الشرف والفضيلة التي لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح منها، ولا أجزل، ولا أعذل، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً، وأشد تلاؤماً، وتشاكلاً من نظمه- كما يقول الشيخ-، فجاء القرآن الكريم بأفصح الألفاظ، في أحسن النظوم، حيث وضع كل لفظٍ في موضعه بحيث لا تجد لفظاً أولى منه، ولا يتوهم في صورة العقل والذوق أمر أليق به منه، ولقد جاء شاملاً

---

١ أسباب النزول ت زغلول ص ٤٦٨. لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، ات. كمال بسيوني زغلول، ط.١ دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١١هـ.

٢ بيان إعجاز القرآن ص٢٧ للإمام الخطابي، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)]، ت. محمد خلف الله أحمد، د. محمد زغلول سلام، ط.٣ دار المعارف بمصر ١٩٧٦م.

كاملاً في أحكامه، يحمل في طياته من المقاصد والأغراض التي إن تمسَّك بها الناس هدوا إلى صراط مستقيم، وسعدوا في حياتهم وفازوا بمحبة الكريم العظيم، وجاءت هذه المقاصد في تراكيب سامية فيها من الصور البلاغية والألوان البديعية التي أسهمت إسهاماً كبيراً في إظهار هذه المقاصد، ومن هنا تبلورت فكرة العنوان والتي أحببت أن تكون مرتبطة بكلام الله العزيز، لتنال شرف ارتباطها بهذا الذكر الحكيم، وسيتم من خلالها الكشف عن بلاغة النظم القرآني، وما تحمله من المعاني العظيمة، واللفتات البديعة، وما يتضمنه النظم البديع من جمال فني وتأثير عميق في النفوس، لأن عمود البلاغة هي وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام في موضعها الأخص الأشكل بها فإذا أبدل مكانها غيرها تبدل المعنى فيفسد به الكلام، ويذهب الرونق الذي تسقط به البلاغة.

والبحث في البلاغة القرآنية من أجمل وأعظم الأبحاث قدراً وفائدة؛ لتعلقه بكتاب الله ﷻ أعظم الكتب وأشرفها، فمن خلال البحث يُكشف عن أسرار القران الكريم البلاغية، وسحر بيانه الذي أبهر أعظم اللغويين، وأصحاب اللغة الناطقين بها سليقة، وبيان إعجازه المحكم، ومن خلال تتبع الظواهر القرآنية والأساليب البلاغية خاصة في مزج البديع من حسن اختيار اللفظ في لفظتي (القوم والملأ).

ومما يلفت الأنظار في هاتين اللفظتين أن الأنبياء كانوا يخاطبون أقوامهم بلفظ {فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ} [سورة المؤمنون :٢٣]، كما جاء على لسان نوح عليه السلام فيأتي الرد منهم على لسان الملأ فقط باتهامه بالضلال فيكون النفي من نوح عليه السلام بلفظ يا قوم، وكان مقتضى الظاهر أن يقول يا أيها الملأ؛ لأن الملأ هم الذين اتهموه، ولفتني أمر آخر اتهامهم له بالضلال بصيغة المصدر الموصوف {قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ} [سورة الأعراف:٦٠]، فنفى عن نفسه الضلال بقوله: {قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ} [سورة الأعراف:٦١]، وأمر آخر استعملوا اتهامه في الظرفية {لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ} وبرأ نفسه بحرف الباء {لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ}، وهذه الخصائص التركيبية نجدها في سياق هودعليه السلام مع قومه وفي سياقات أخرى للأنبياء.

وقد ارتأيت أن يكون المنهج المتبع في هذا الموضوع هو المنهج التحليلي، والذي يهتم بالسياق الممتد الواردة فيه هاتان اللفظتان وسأتتبع الخصائص التركيبية، وأحلل

الصور البيانية وأحاول وصف السمات البديعية، التي كان لها بالغ الأثر في معرفة المقاصد القرآنية لهذا المواضع

وقد اقتضى ذلك تصنيف الدراسة في مقدمة، وفصلين، وخاتمة، وفهارس على النحو التالي

الفصل الأول مقام ذكر القوم والملأ في حوار الأنبياء أقوامهم)

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول القوم والملأ في حوار نوح عليه السلام قومه

المبحث الثاني القوم والملأ في حوار هود عليه السلام قومه

المبحث الثالث القوم والملأ في حوار صالح عليه السلام قومه

المبحث الرابع القوم والملا في حوار شعيب عليه السلام قومه

المبحث الخامس القوم والملأ في حوار موسى عليه السلام قومه

الفصل الثاني مقامات ذكر القوم والملأ في سياقات أخرى

متنوعة) وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول الملأ في سياق حوار ملك مصر معبري الرؤى

المبحث الثاني الملأ في سياق حوار بلقيس قومها

المبحث الثالث الملأ في سياق الحديث عن استراق الشياطين للسمع من السماء

المبحث الرابع الملأ في سياق وصايا المشركين بعضهم بعضا

المبحث الخامس الملأ في سياقات أخرى متباينة

الخاتمة وفيها أبرز ما تمخض عنه البحث من نتائج، أحسبها موفقة، وأرجو لها القبول

الفهارس فهرس الآيات القرآنية، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات

هذا، والله تعالى أسأل التوفيق والسداد، والقبول لي ولقارئه وللمسلمين أجمعين

وكتبه

عابد بن سلامة الجهني

المدينة المنورة في صبيحة يوم الأربعاء الموافق الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك لعام هـ، الموافق الثاني عشر من شهر أبريل.

الفصل الأول
مقام ذكر القوم والملأ في حوار الأنبياء أقوامهم)

وتحته خمسة مباحث

المبحث الأول القوم والملأ في حوار نوح عليه السلام قومه

المبحث الثاني القوم والملأ في حوار هود عليه السلام قومه

المبحث الثالث القوم والملأ في حوار صالح عليه السلام قومه

المبحث الرابع القوم والملا في حوار شعيب عليه السلام قومه

المبحث الخامس القوم والملأ في حوار موسى عليه السلام قومه

القوم والملأ في حوار نوح عليه السلام مع قومه.

لفظتا القوم والملأ في حوار نوح عليه السلام مع قومة وردتا في مواضع كثيرة، ولكن قبل دراستهما ومعرفة الأسرار البلاغية التي هي موطن الدراسة نذكر مكان ورودهما في القران الكريم، فقصة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إجمالاً وردت في سورة الأعراف وسورة يونس وسورة هود وسورة الأنبياء وسورة المؤمنون وسورة الفرقان وسورة الشعراء وسورة العنكبوت وسورة الصافات وسورة الذاريات وسورة القمر، واختتمت بسورة نوح، وفي كل سورة من هذه السور تحمل القصة سياقاً معيناً لا يحمل تكراراً لما قبله، وفيما يلي دراسة المواضع:

الموضع الأول الذي ذكر فيه القوم والملأ في سورة الأعراف:

قال تعالى: {لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأٞ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢} [سورة الأعراف:٥٩-٦٢].

فهذا حوار قراني دار بين نوح عليه السلام وبين قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، لكن القوم أصموا آذانهم واستغشوا ثيابهم، وأصروا واستكبروا استكباراً، والذي يَعنينا هنا هو موقع لفظ القوم والملأ في السياق، وما تحمله من سمات بلاغية، وسبب ذكر القوم في موطن معينٍ، وذكر الملأ في موطن معينٍ آخر، وبالتأمل في هذه الآية نجد أن هناك ظواهر أسلوبية امتزجت مع لفظتي القوم والملأ لإظهار المقصد القرآني منهما.

وفي بداية قصة نوح عليه السلام قال سبحانه: {لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا}، وهذا التعبير جاء مؤكداً ومستأنفاً بحرف اللام وحرف قد، وكرر هذا التعبير في أكثر من موضع في القران الكريم، ففي سورة هود قوله تعالى: {وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥} [سورة هود:٢٥]، وفي سورة المؤمنون قوله تعالى{وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣} [سورة المؤمنون:٢٣]، وفي سورة العنكبوت قوله تعالى: {وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤} [سورة العنكبوت:١٤]، لكن اللافت في آية الأعراف هو خلوّها من حرف الواو على عكس الآيات الأخرى، والسر في ذلك أن قصة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في سورة الأعراف أول قصة للأنبياء ذكرت في السورة، ونوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أول الأنبياء، فبدأ السرد القصصي في

السورة بلام الابتداء، ولم تعطف على قصة قبلها، ولم يكن هناك ارتباط بين هذه الآية والآيات السابقة لها في قوله تعالى: {وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧} [سورة الأعراف:٥٧]، فناسب حذف واو العطف في هذا الموضع على عكس ما ورد في السور الأخرى من القران، وناسب بداية القصة بلام الابتداء، وهو استئناف لموضوع جديد لا يرتبط بما سبقه.

"وليس كذلك الآية التي في سورة هود؛ لأن أولها افتتح إلى أن انتهى إلى قصة نوح عليه السلام بما هو احتاج على الكفار بآيات الله التي أظهرها على أيدي أنبيائه، وألسنتهم صلوات الله عليهم، وتوعد لهم على كفرهم، وذكر قصة من قصص من تقدمهم من الأنبياء الذين جحدت أممهم بآيات ربهم التي جرت على أيدي رسلهم، فعطفت هذه الآية على ما قبلها لما كانت مثلها، فترى أن أول السورة {الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ} [سورة هود: ١-٢].

وبعد العشر منها: {فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣} [سورة هود:١٢-١٣]، ثم وصف حال من آمن بالله ورسله، وأخبت إلى ربه، وحال من افترى على ربه، وحصل على خسران نفسه وشبههما بحال من انطوى على ذكره في قوله: {* مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٤} [سورة هود:٢٤]، فاقتضى تشابه القصتين عطف الثانية على الأولى.

وأما في سورة المؤمنين، فإن قبل هذه الآية منها: قوله {وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢} [سورة المؤمنون:١٢]، ثم قوله: {وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ١٧} [سورة المؤمنون:١٧]، ثم انقطعت الآي إلى قوله: {وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٢٢} [سورة المؤمنون:٢٢]، فكأنما تقدم في هذا المكان مثل ما تقدم في الآية في سورة الأعراف إلا أنه باينه بأن كان فيه: {وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ} وقوله {وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ}، ثم انقطعت إلى قوله: {وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٢٢}، والفلك التي يحمل عليها مما اتخذه نوح عليه السلام ،

فدخلت واو العطف في قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ للفظين المتقدمين، وهما: (ولقد) في رؤوس الآيتين، وللمعنى المقتضى من ذكر الفلك الذي نجى الله عليه من جعله أصل الخلق وبذر هذا النسل "(١).

والناظر في الآيات يجد أن التعبير جاء بلفظ القوم {إِلَىٰ قَوْمِهِۦ}، دون الملأ؛ لأن نوحًا عليه السلام أرسل إلى القوم جميعًا، فلا يستساغ ذكر الملأ هنا، فروعي عموم الدعوة في لفظ القوم لشمولها.

وفي إضافة القوم إلى نوح عليه السلام {إِلَىٰ قَوْمِهِۦ} تكريم لهم وكونه منهم أحرى بقبول دعوته لهم واستمالة لقلوبهم لتتهيأ لقبول دعوته ورسالته عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ودلالة النداء في قوله: {فَقَالَ يَٰقَوْمِ} فيها تودد وتلطف منه لهم بنسبته إليهم لفتح مغاليق قلوبهم لتتهيأ لقبول الدعوة، والياء للنداء البعيد، وسر اختيارها من بين أدوات النداء الأخرى؛ لكونها ناسبت القوم البعيدين عن الإيمان ولعظيم شططهم في الكفر ناسب اختيارها دون أدوات النداء الأخرى.

ثم قال: {ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ} بدلالة الأمر وهو تكليف لهم بالتوحيد ولا خيار لهم سواه، وهو مرسل من عند الله تعالى فنفى قطعاً وجود إله لهم غيره تعالى {مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ}؛ ليقينه بأنه لا معبود بحق سواه تعالى ، ولا خيار للعبد سوى التسليم والطاعة لينجو من عذاب يوم عظيم، " وأكثر محاورات القران الكريم تؤكد مبدأ أساسيًا في الرسالات جميعاً هو عبادة الله وحده لا شريك له، فإنه أساس ثابت لا يتبدل في العقيدة، ولا يتطور بتغير الرسل أو الأزمان، وهذا وراء توحيد اللفظ الصادر عن أكثر من رسول في هذا الأمر "(٢).

وقوله تعالى: {مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ} تمَّ تقديم المسند في الحوار هنا ليفيد التقوية والتأكيد، فالمسند المقدم هنا هو الجار والمجرور (لكم) على المسند إليه (من إله) و(غيره) صفة المسند إليه، وقراءة الرفع بالتبعية للمحل"(٣)، "وهذا التقديم يؤكد نفي الشركاء، ويقويه، فضلاً عن التوكيد الحاصل من القصر بالنفي وغير؛ لأن المعنى مالكم من إله إلا إياه، ومقام إنكار القوم هذه الحقيقة وغرابتها

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل، محمد مصطفى آيدين، (ج٢/ ص ٥٩٣- ٥٩٧).

(٢) الحوار في القرآن الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (رسالة دكتوراه)- تأليف: د. محمد إبراهيم عبدالعزيز شادي - (٢٧٤، ٢٧٥).

(٣) بتصرف معاني القرآن المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي (١/ ٣٨٢).

عنهم اقتضى تأكيدًا مضاعفًا في جملة موجزة بالنفي والاستثناء"[1]، ثم قال: {إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ}، وفي سورة هود قال {إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦} [سورة هود:٢٦]، "وفي الآيتين أسند العظيم والأليم، وهي صفات مشبهة بالفعل إلى ضمير اليوم تجوزاً "[2] يقول أبو السعود: " ووصفه بالأليم على الإسناد المجازي للمبالغة"، "وفي إضافة العذاب لليوم تجوز؛ لأن الحقيقة أن اليوم ظرف لوقوع العذاب فيه، وأن الأصل (عذاب في يوم)"[3].

وبعد ما وجه نوح عليه السلام الدعوة للقوم جميعاً جاء الرد من الملأ وهم" الجماعة الشريفة ووجهاء القوم وكبارهم، وسميت ملأً لأنهم يملؤون العين مهابة"[4]، ولفظة الملأ هنا أنسب من لفظة القوم وأليق بسياقها؛ لأن الذين أظهروا اعتراضهم على دعوة نوح عليه السلام هم الأشراف والوجهاء، وهذا لا يمنع أن يكون كل القوم معترضين إلا أن الملأ منهم هم أجهر الناس بالاعتراض وأعلاهم صوتاً بالامتعاض؛ لذا جاءت لفظة الملأ في مكانها.

فالملأ هنا هم السادة ووجهاء القوم وأصحاب النفوذ فيهم، وسر الرد من الملأ فقط هو ما يقتضيه الموقف، فأي أمر جديد على الناس وغير مألوف عندهم أول من تكون له الكلمة هم الوجهاء والكبار وجميع الناس ينتظرون فصلهم فيما هم فيه من حيرة.

وكان الرد على لسان الملأ {قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ} جاءت مؤكدة (بإن واللام) أي متمكن منك الضلال، وكأنه يتلبسك لباساً، وهو تعبير مجازي عن تمكن الضلال منه قال الرازي: "وقوله: إنا لنراك هذه الرؤية لا بد وأن تكون بمعنى الاعتقاد والظن دون المشاهدة والرؤية، وقوله: في ضلال مبين أي في خطأ ظاهر وضلال بين "[5].

فنفى نوح عليه السلام التهمة عن نفسه بقوله: {قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} في هذه الآية رد من نوح عليه السلام مجدداً لاستمالة قلوبهم بنسبتهم إليه، فرد على القوم جميعاً لكن مقتضى الظاهر في غير

---

(١) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٢٨).

(٢) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٢٧٦)

(٣) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٢٧٩)

(٤) – بتصرف تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ (ج٢/ ص٤١٥)

(٥) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الناشر (ج١٤/ص٢٩٣-٢٩٦).

القران أن يكون الرد للملأ؛ لأنهم هم الذين اتهموه بالضلال لكن نوحاً عليه السلام رد على القوم جميعاً لعموم دعوته عليه السلام وبدايتها، فقال{لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ} ولم يقل (لست في ضلال)، فنفى عن نفسه ضلالة واحدة ونفي الأخص يقتضي نفي الأعم، والباء تدل على الإلصاق، واتهام الملأ له (في ضلال) كأنه منغمس في الضلال في تقييد الظرفية ورده عَلَيْهِ السَّلَامُ كان بنفي أن تلتصق به ضلالة واحدة، وأثبت لهم بأنه رسول من رب العالمين، وفي نظم الدرر للبقاعي "{قَالَ يَٰقَوْمِ} مجدداً لاستعطافهم {لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ} فنفى وحدة غير معينة، ولا يصدق ذلك إلا بنفي لكل فرد، فهو أنص من نفي المصدر، ولم يصف الملأ من قومه هنا بالذين كفروا ووصفهم بذلك في سورة هود، إما لأنها صفة ذم لم يقصد بها التقييد فلا يختل المعنى بإثباتها ولا نفيها، أو لأنهم أجابوه بذلك مرتين: إحداهما قبل أن يسلم أحد من أشرافهم، والثانية بعد أن أسلم بعضهم.

ولما نفى ما رموه به على هذا الوجه البليغ، أثبت له ضده بأشرف ما يكون من صفات الخلق، فقال مستدركاً بعد نفي الضلال إثبات ملزوم ضده: {وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ}"[1]؛ "ولأنهم أرادوا أنه مغمور في الضلال مغموس فيه فلا يطمع في رشده؛ ولذا أستعير حرف الجر (في) من الظرفية للدلالة على تلبسه بالضلال وتمكنه منه فكما بالغوا في نسبة الضلال إليه بالغ هو في نفيه عن نفسه "[2].

" رد نوح عليه السلام فيه تعليم للناس أدب النقاش والمحاورة وتعليم الدعاة إلى الحق أن يصبروا ويعرضوا عن حمق الناس وألا يغضبوا لأنفسهم؛ لأن هدفهم الإقناع بالحق؛ وذلك بين في حوراه عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما أتهم بالاستغراق في الضلال، فلم يغضب وأكتفى بنفي أن يكون به ضلالة "[3]، "ولما كان الاتهام شنيعاً؛ لأنه يمس العقل منبع الفكر الذي يستند الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعوته إلى الله كان لا مفر من نفي ما أثبتوه بلفظة، فلا يكفي أن يتضمنه النفي كما هو الحال في التقديم كأن يقول: ما أنا بضال؛ وذلك لردع الافتراء"[4].

وقوله تعالى: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ} جاءت (أبلّغكم) بالمضارع دلالة على تجدد الدعوة منه عليه السلام ، وجمع رسالات دلالة على أنه

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ج٧/ ص٤٢٩).

(٢) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٢٣٩).

(٣) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٢٠).

(٤) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٩٩ – ١٠٠).

حمل رسالات كثيرة من رب العالمين وقوله {وَأَنصَحُ لَكُمْ} مبالغة في النصح ودوامه بزيادة اللام في (لكم).

من الملاحظ في السور التي ذكر فيها حوار نوح عليه السلام مع قومه تشابه الآيات إلى حدٍ كبير مع تنوع في السياق والتراكيب، ففي سورة الأعراف كانت الدعوة مختصرة، واستكملت الدعوة في سورة يونس في قوله تعالي: {وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾} [سورة يونس:٧١]، ولم يذكر في السياق وجود أتباع لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ على عكس سورة هود، فقد جاءت طويلة ومفصلة وظهر فيها أتباع لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: {فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾} [سورة هود:٢٧]، فلما خصص الملأ بالذين كفروا دل على أن هناك من آمن معه.

ثم كرر في أكثر من موضع (يا قوم) استمالة لهم وإشعاراً لهم بخوفه وشفقته عليهم محاولة لإخراجهم من الجهل والضلال الذي هم فيه.

وأوجه اختلاف حوار نوح عليه السلام في السور "{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾} [سورة الأعراف:٥٩]، وقال في سورة هود: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾} [سورة هود:٢٥-٢٦].

وقال في سورة المؤمنون: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾} [سورة المؤمنون:٢٣].

وقوله بعد: "{مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}، وقال في سورة هود: "{إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ}، وفي المؤمنين: {مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ}.

هو إن للأنبياء -صلوات الله عليهم- مقامات مع أممهم يكرر فيها الإعذار والإنذار، ويرجع فيها عوداً على بدء، الوعد والوعيد، ولا يكون دعاؤهم إلى الإيمان بالله، ورفض عبادة ما سوى الله تعالى في موقف واحد بلفظ واحد لا يتغير عن حاله، مثل الواعظ يفتن في مقاله، والجاحد المنكر تختلف أجوبته في مواقفه،

جاءت المحكيات على اختلافها لم يطالب، وقد اختلفت في الأصل باتفاقها؛ لأنه قال لهم مرة باللفظ الذي حكى، ومرة أخرى بلفظ آخر في معناه كما ذكر.

وكذلك الجواب يرد من أقوام يكثر عددهم، ويختلف كلامهم ومقصدهم، وصدق الخبر يتناول الشيء على ما كان عليه، فلا وجه إذا للاعتراض على هذا ونحوه"[1].

"وفي قوله تعالى في سورة هود: {أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ} قصر الصفة على الموصوف قصراً حقيقياً، وهو يمثل مرحلة أولى في الدعوة هي عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، ولم يكن أنسب لتأدية هذا المعنى من أسلوب القصر؛ لأنه يحقق غرضاً يتصل بمهمة الرسول إذ يرمي رميتين بقوس واحد أي أنه يدعو إلى عبادة الله وحده، ويدعو إلى ترك عبادة ما سواه في جملة واحدة {أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ}، فضلاً عن قدرة هذا الأسلوب بما فيه من تأكيد وحسم على التأثير، وحمل المخاطب ما أمكن على مراجعة موقفه "[2].

في الآية التي بعدها جاء الرد من الملأ في قوله: {فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧} [سورة هود:٢٧].

" هذه الإجابة من قوم نوح عليه السلام تعكس اعتقاداً فاسداً لديهم هو أن الرسول لا يكون إلا ملكاً؛ ولذا نزلوا نوحاً عليه السلام منزلة من ادعى أنه ملك، فردوا عليه بالنفي والاستثناء يؤكدون بشريته، وبانضمام القصر الثاني إلى الأول تظهر محاولتهم إثبات أنه غير جدير بالرسالة، وهو ما صرح به في الحكاية عنهم{مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا} إلى أن قال: {قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ} [سورة هود:٤٣]، ويتبيَّن من ذلك أن المعول عليه في تحديد المنفي هو السياق والقرائن، وأن الصفة المنفية قد يدعي بها المخاطب ثبوتها، وقد ينزل منزلة ذلك "[3].

بعد ذلك كرر نوح عليه السلام مناداتهم بلفظة القوم وناسبت السياق؛ لأنها دعوة عامة.

وفي تكرار منادتهم في قوله: {وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ} [سورة هود:٢٩]، "قصر الأجر على الله لا عليهم، وقد صرح بما تضمنه

---

[1] درة التنزيل وغرة التأويل (٢/ ٥٩٨- ٦٠٠).
[2] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٩٠).
[3] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبة وصوره البيانية (٩٢).

القصر قبله {لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًا}، فهو من التأكيد مرة بعد أخرى، والباعث عليه أن يبرهن على صدقه وإخلاصه بأنه لا يطلب منهم أجراً، ويؤكد البرهان على صدقه، فكأنه عليه السلام ينزلهم

بسبب رفضهم منزلة من اتهمه بطلب الأجر "[1].

"وقوله: {فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗۖ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤} [سورة المؤمنون: ٢٤] في هذه الآية الكريمة جمع بين الملأ والقوم وفرق كبير بين تأخير (من) عن قوله تعالى: {ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ}، كما جاءت في التلاوة الكريمة وبين تقديمها عليه في غير القران هكذا، وقال الملأ من قومه الذين كفروا...، فالتركيب الأخير يدل دلالات مهمة على:

الأولى: أن الذين كفروا هم الملأ، وأن الملأ لا يدخل فيه أحد غير الذين كفروا...، فالذين كفروا تمالؤوا عليه عليه السلام وتقوَّوا ببعضهم البعض...

الثانية: أن الملأ الذين كفروا هم أهل السطوة والنفوذ من القوم، وهذا يتسق مع طبيعة العصاة المتمردين على المرسلين من جميع الأقوام- وسيرة نبينا ﷺ ، وكذلك سيرة موسى عليه السلام ظاهران في هذا...

الثالثة: أن الملأ الذين كفروا بعض القوم، فهم الفصيل المتمرد العاصي.

الرابعة: أن القوم أشمل وأعم من الملأ، وأن الملأ أخص من القوم، وأن الملأ غالبًا هم ذووا النفوذ في الملأ...، فهم الذين يقولون، وهم الذين يتصدون للأحداث الجليلة، ويطلعون بمواجهتها- مثل أحداث مجيء الرسول بالتكاليف "[2].

ولما ختم الملأ جوابهم له بالتكذيب رد عليهم مبيناً لهم ما هم فيه من ضلال وصد عن سبيل الله، فكرر كلمة القوم ونسبتهم إليه في آيات متتالية، فقال تعالى على لسان نوح عليه السلام: {أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي} [سورة هود:٦٣]، وقال تعالى في الآية التي تليها: {وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًا} ثم كرر أيضاً في الآية التي تليها: {وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠} [سورة هود: ٣٠]، في هذا التكرار والتنبيه بمناداتهم ونسبتهم له استمالةً لقلوبهم واستعطافاً لهم وتوداداً وتلطفاً لاستثارة نفوسهم، وتحريك همهم واستنهاض غرائزهم في تلقي الدعوة، ولم يناسب مناداتهم هنا بالملأ؛ لأن الدعوة عامة.

وتتكرر لفظة القوم كثيراً في سياقات متنوعة، وهذا أمر طبعي؛ لأن جميع الأنبياء أرسلوا إلى أقوامهم، وكانت دعوتهم إلى الأقوام جميعاً، فلم يختص بالدعوة

---

[1] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبة وصوره البيانية (٩٤-٩٥).

[2] حديث سمعته من أ. د. أحمد سعيد أستاذ البلاغة في جامعة طيبة

أحد دون الآخر، ولم يشذ عن الدعوة واحد من القوم؛ لذا كان من الطبعي أن تتكرر لفظة القوم بصورة ملحوظة أما لفظة الملأ فغالباً ما تأتي في سياق اعتراض القوم على أنبيائهم، فورودها كان قليلاً، وقد تأتي اللفظتان مقترنتين كما في قوله تعالى: {وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾} [سورة هود:٣٨].

لفظ الملأ هنا أنسب للسياق؛ لأن السخرية وقعت من الملأ وهم وجهاء القوم الذين تتعارض دعوة النبي عليه السلام مع مصالحهم ونفوذهم في قومهم، وذكر لفظ القوم معها؛ لأن الملأ بعض من القوم وتقديم الجار والمجرور على لفظ الملأ أنسب لفكرة النظم فنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو المقصود من الحديث {وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ}، وتأخير الفاعل يجعل النفس تترقب وتتشوق إليه، وهذا التقديم جعل النظم منسجماً انسجاماً عالياً نفتقده لو قيل كلما مر ملأ من قومه عليه.

ورد لفظ القوم في سورة الفرقان في قوله تعالى: {وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾} [سورة الفرقان:٣٧].

لفظ القوم هنا أنسب للسياق؛ لأن نوح لم يؤمن به إلا القليل ونجوا معه في السفينة، فالذين كذبوا أغرقهم جميعاً من الملأ ومن غير الملأ، فلم يصلح في هذا السياق لفظ الملأ؛ لأن التكذيب كان من الملأ ومن غير الملأ، فلم يكن التكذيب محصوراً في وجهاء القوم فقط، وهذا لا يمنع أن يكون من القوم أناس صدقوا بدعوة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لكن أعدادهم لا تذكر بالقياس إلى القوم، وقد أختلف العلماء في تحديد من آمن مع نوح قيل: ثمانون، وقيل: اثنان وسبعون، وقيل: عشرة، وقيل: نوح وأولاده الثلاثة وزوجاته سام ويافث وحام، "فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رضي الله عنهما- كَانُوا ثَمَانِينَ نَفْسًا مِنْهُمْ نِسَاؤُهُمْ، وَعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ كَانُوا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ نَفْسًا، وَقِيلَ: كانوا عشرة، وقيل: إنما كان نُوحٌ وَبَنُوهُ الثَّلَاثَةُ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثُ"[1].

من الآيات التي ورد فيها القوم قصة نوح عليه السلام في سورة الشعراء قال تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ * قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠

---

[1] تفسير ابن كثير، المحقق: محمد حسين شمس الدين (ج٤/ ص٢٧٩)

إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾} [سورة الشعراء:١٠٥-١١٧].

لفظة القوم هنا ناسبت مكانها؛ لأن قوم نوح كذبوا جميعاً فناسب ذكرها في هذا الموضع دون الملأ؛ ولأن الآية ذكرت في سياق عموم التكذيب، ودلالة العموم هي لفظ القوم وليس الملأ.

وفي هذه الآيات سمات بلاغية منها:

أولاً: وصف القوم بالتكذيب مع أن منهم من آمن بنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لأن قومه لم يؤمن منهم إلا القليل بدليل قوله تعالى: {وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾} [سورة هود:٤٠].

ثانياً: علة جمع المرسلين مع أن قومه لم يكذبوا الرسل جميعاً، وإنما كذبوا رسولهم فقط وهو نوح عليه السلام؛ لأن من كذب رسولاً واحداً، فكأنه كذب جميع الرسل؛ لأن دعوتهم واحدة، وهي توحيد الله بالعبادة.

جاء في اللباب أنهم كذبوا الرسل لوجهين:

"أحدهما: أنهم وإن كذبوا نوحاً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لكن تكذيبه في المعنى يتضمن تكذيب غيره؛ لأن طريقة معرفة الرسل لا تختلف من حيث المعنى؛ لأن كل واحد من المرسلين جاء بما جاء به الآخر، فلذلك حكى عنهم أنهم كذبوا المرسلين.

وثانيهما: أن قوم نوح عليه السلام كذبوا جميع رسل الله، إما لأنهم كانوا من الزنادقة أو من البراهمة "[1].

{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ} دلالة التعبير بالأخوة فيها حسن عرض جاء في فتح القدير للشوكاني: "إذ قال لهم أخوهم نوح أي: أخوهم من أبيهم، لا أخوهم في الدين، وقيل: هي أخوة المجانسة، وقيل: هو من قول العرب: يا أخا بني تميم، "[2].

في سورة الذاريات قوله تعالى: {وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾} [سورة الذاريات:٤٦] في هذا السياق ناسب ذكر لفظ القوم؛ لأن سياق الآية يتحدث عن العموم، فلا يصلح استخدام لفظ الملأ هنا، وتكرار لفظ القوم مبالغة في فسوقهم، وأنها صفة ملازمة لهم.

ورد ذكر لفظ القوم في سورة القمر قال تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ

---

[1] اللباب في علوم الكتاب المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض (ج١٥/ص٥٥).

[2] فتح القدير للشوكاني (ج٤/ ص١٢٦).

مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾} [سورة القمر:٩-١٣]، إجمالاً ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بماذا أهلك الأمم السابقة بدايةً بمن عصى نوح عليه السلام إلى القوم الذين عصوا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وفيها وعيد للمشركين الذين كذبوا النبي محمد ﷺ بعرض ما حل بالأمم السابقة حينما كذبوا الرسل.

قال في الآية (كذبت، كذبوا) بالماضي للفعلين تأكيداً لتكذيبهم، ووصل الجملتين بحرف الوصل الواو (وقالوا)، لعدم وقوفهم عند التكذيب فقط، بل وصلوا إلى زجره ووصفه بالجنون، ثم قال في الآية (عبدنا) فيها تكريم لنبي الله نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فمقام العبودية أعلى وسام للعبد وفيها تسلية للنبي ﷺ .

ناسب في هذه الآية ذكر لفظ القوم عن الملأ؛ لأن نوحاً عليه السلام لم يؤمن به إلا القليل، فنسب فعل التكذيب إلى القوم جميعاً لتواطئهم على الكفر، فلا يصلح لفظ الملأ في هذا السياق.

في سورة نوح عليه السلام قال تعالى: {إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾} [سورة نوح:١-٥] في هذا الموضع ناسب اختيار لفظ القوم وتكرارها في الآيات لعموم الرسالة، فقال: (إلى قومه) وأضافهم تعالى إلى نوح عليه السلام ، لأنه منهم وابن جلدتهم، ثم كرر اللفظة، وناسب السياق ذكرها وتكرارها دون الملأ؛ لأن الإنذار للقوم جميعاً، فلا يصلح استخدام لفظ الملأ هنا.

وفي قوله تعالى: {يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} تودد وتقرب لهم لتحريك نفوسهم وحثهم على قبول دعوته حتى قال تعالى : {رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا}، فأتت لفظة القوم في سياق شمول الدعوة للقوم جميعًا، فناسب اختيارها دون لفظ الملأ.

"وَ «قَوْمُ نُوحٍ» هُمُ النَّاسُ الَّذِينَ كَانُوا عَامِرِينَ الْأَرْضَ يَوْمَئِذٍ، إِذْ لَا يُوجَدُ غَيْرُهُمْ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا هُوَ ظَاهِرُ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ؛ وَذَلِكَ صَرِيحُ مَا فِي التَّوْرَاةِ.

وَالْقَوْمُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَجْمَعُهُمْ مَوْطِنٌ وَاحِدٌ أَوْ نَسَبٌ وَاحِدٌ بِرِجَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَأَطْفَالِهِمْ، وَإِضَافَةُ (قَوْمٍ) إِلَى ضَمِيرِ نُوحٍ عليه السلام ؛ لِأَنَّهُ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ فَلَهُمْ مَزِيدُ اخْتِصَاصٍ بِهِ؛ وَلِأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَهُمْ بَيْنَ أَبْنَاءٍ لَهُ وَأَنْسِبَاءَ فَإِضَافَتُهُمْ إِلَى ضَمِيرِهِ تَعْرِيفٌ لَهُمْ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمُ اسْمٌ خَاصٌّ مِنْ أَسْمَاءِ الْأُمَمِ الْوَاقِعَةِ مِنْ بَعْدُ.

وَعُدِلَ عَنْ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَنْذِرِ النَّاسَ إِلَى قَوْلِهِ: أَنْذِرْ قَوْمَكَ إِلْهَابًا لِنَفْسِ نُوحٍ عليه السلام ؛ لِيَكُونَ شَدِيدَ الْحِرْصِ عَلَى مَا فِيهِ نَجَاتُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، فَإِنَّ

فِيهِمْ أَبْنَاءَهُ وَقَرَابَتَهُ وَأَحِبَّتَهُ، وَهُمْ عَدَدٌ تَكَوَّنَ بِالتَّوَالُدِ فِي بَنِي آدَمَ فِي مُدَّةِ سِتِّمِائَةِ سَنَةٍ مِنْ حُلُولِ جِنْسِ الْإِنْسَانِ عَلَى الْأَرْضِ. وَلَعَلَّ عَدَدَهُمْ يَوْمَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ نُوحٍ لَا يَتَجَاوَزُ بِضْعَةَ آلَافٍ"[1]

"وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَهَا اسْتِئْنَافًا بَيَانِيًّا لِجَوَابِ سُؤَالِ السَّامِعِ أَنْ يَسْأَلَ مَاذَا فَعَلَ نُوحٌ عليه السلام حِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ، وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ، وَافْتِتَاحُ دَعْوَتِهِ قَوْمَهُ بِالنِّدَاءِ لِطَلَبِ إِقْبَالِ أَذْهَانِهِمْ وَنِدَاؤُهُمْ بِعُنْوَانِ: أَنَّهُمْ قَوْمُهُ، تَمْهِيدٌ لِقَبُولِ نُصْحِهِ، إِذْ لَا يُرِيدُ الرَّجُلُ لِقَوْمِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ لِنَفْسِهِ، وَتَصْدِيرُ دَعْوَتِهِ بِحَرْفِ التَّوْكِيدِ؛ لِأَنَّ الْمُخَاطَبِينَ يَتَرَدَّدُونَ فِي الْخَبَرِ"[2]

---

[1] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (٢٩/ ١٨٧).

[2] التحرير والتنوير (١٨٨/٢٩).

القوم والملأ في حوار هود عليه السلام مع قومه

حوار هود عليه السلام ورد في القران الكريم في أربع سور هي: سورة الأعراف وسورة هود وسورة الأحقاف وسورة الحاقة.

الموضع الأول في سورة الأعراف وسورة هود قال تعالى في سورة الأعراف.

{* وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾} [سورة الأعراف:٦٥-٦٩].

وقال تعالى في سورة هود: {وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾} [سورة هود:٥٠-٦٠].

هذان الحواران العظيمان أتيا متشابهين ضمن سياق حوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم ودعوتهم لهم وهو عرض قصصي رهيب يصور أحداث وحال الأمم مع أنبيائهم، ويكشف ما لاقاه الرسل عليهم السلام من الصد والتكذيب، ويبين لنا العرض القصصي جمال التعبير القرآني وسحر بيانه وعظمة كلام الله تعالى .

ففي هذه الآيات المباركة أتى حوار هود عليه السلام مع قومه بعد الانتهاء من عرض حوار نوح عليه السلام مع قومه في السور، فجاء الحوار معطوفاً على قصة نوح عليه السلام ، فقال تعالى: {وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} أي كما أرسلنا نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قومه أرسلنا هوداً عليه السلام إلى قومه، وهم قوم عاد.

وفي هذا الحوار ذكر لفظي (القوم والملأ)، وناسب كل لفظ موضعه، فموضع القوم في الآية لا يناسب لفظ الملأ؛ لأن الدعوة عامة لعبادة الله وتوحيده، فلابد أن توجه للقوم جميعاً أما في موضع لفظ الملأ، فلا يناسب ذكر لفظ القوم؛ لأنها بداية دعوته عليه السلام، ولا يعترض دعوة الأنبياء والرسل إلا الوجهاء وأصحاب النفوذ؛ لأن دعوة الرسل تتقاطع مع مصالحهم ونفوذهم في قومهم، فناسب اختيار لفظ الملأ عن القوم في هذا الموضع.

"في الآيات ظواهر قصر ترتبط بالمقام، فقد حشد أكثر من جملة قصرية في مقام دعوته لقومه، ويكون اجتماع هذه الجمل القصرية في كلام كلا الطرفين إشارة إلى قمة الرفض من جانب الأقوام في مقابل قمة الحرص والنصح من جانبه عليه السلام ، وهذا يؤدي دوراً في الغرض الجزئي الذي سيق له الحوار، وهو تصوير مدى معاناته عليه في دعوة قومه بسبب ما لاقاه من تعنت وصد عن سبيل الله"[1].

أيضاً في الآيات تعدد وتعاقب للأوامر والمقصود بها الالتماس والتوجيه والنصح، وهذا منهج الرسل في دعوتهم، حيث يقتضي المقام المعاودة والإصرار والإلحاح في مواجهة عناد القوم، وإصرارهم على الرفض، وكل أمر يؤدي وظيفة محددة وتدرجت الأوامر، فبدأت بالأمر بعبادة الله، ثم الاستغفار، ثم التوبة، ثم أشهدهم على أنفسهم، وهذا ظاهر في الآيات السابقة [2].

وقد اتسم الحوار بخصائص بلاغية منها:

أولًا: في الآية الكريمة قدم تعالى عاداً على هود وفيها إشارة إلى تخصيص رسالة هود عليه السلام لقوم عاد "ولما كان عاد بعدهم، ولم يكن هنا ما يقتضي تشويش الترتيب، أتبعهم به مقدمًا المرسل إليه؛ ليفيد تخصيص رسالته بهم، وهم أهل الأرض، فقال: {وَإِلَىٰ عَادٍ} أي خاصة أرسلنا {أَخَاهُمْ هُودًا}[3]، فقدم الجار والمجرور على المنصوب، فالتقديم هنا أفاد معنى القصر والاختصاص.

ثانياً: اختار النظم القرآني لفظ {أَخَاهُمْ}، وفيها حسن عرض، فكونه منهم رغم كفرهم وبعدهم عن الحق أقرب إلى إجابة دعوته وفهمه، لمعرفته بهم ومعرفتهم به، جاء في التحرير والتنوير " والأخ هنا مستعمل في مطلق القريب، على وجه المجاز المرسل، ومنه قولهم يا أخا العرب، وقد كان هود من بني عاد،

---

[1] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (١٠٨، ١٠٩).

[2] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (١٦٧، ١٦٨) .

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥١/٣).

وقيل: كان ابن عم إرم،
ويطلق الأخ مجازاً أيضًا على الصاحب الملازم "[1].

ثالثًا: استخدام ياء النداء، وهي أكثر تنبيهًا وأكثر لفتًا، وهي تستخدم لنداء القريب والبعيد سواءً بَعُد بعضهم مكانًا عنه أو بَعُدهم عن الدين والحق وانغماسهم في الكفر والبُعد عن الله.

والنداء وتكراره في السورتين يحقق هدفين: " الأول تهيئة القوم ولفتهم إلى ما يأتي بعده لخطورته، والثاني يشعر المنادى: الذي أضيف القوم إلى ضميره تعالى بأنه منهم، وليس غريباً عنهم، فهو معروف لديهم "[2].

رابعاً: {قَالَ يَٰقَوۡمِ} استرعاءً لأسماعهم بنسبتهم إليه استعطافاً لهم كونه منهم واستمالة لهم؛ لفتح مغاليق قلوبهم؛ لتتهيأ لقبول الدعوة وتوحيد الله بالعبادة.

خامساً: قال: {ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ} بدلالة الأمر، وهو تكليف لهم بالتوحيد ولا خيار لهم سواه، فهو مرسل من عند الله تعالى فنفى قطعاً وجود إله لهم غيره تعالى .

سادساً: قال: {مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ} في هذه الآية قدم قومه لأنهم المقصودون بالحديث، وفيها تشويق للمبتدأ المؤخر، فأصلها في غير القران ما إله لكم غيره، "وتقديم المسند هنا يفيد التقوية والتأكيد خاصة عندما يكون المسند جاراً ومجروراً والمسند هنا هو الجار والمجرور (لكم) على المسند إليه (من إله) و(غيره) صفة المسند إليه، وهذا التقديم يؤكد نفي الشركاء، ويقويه فضلاً عن التوكيد الحاصل من القصر بالنفي وغير؛ لأن المعنى مالكم من إله إلا إياه، ومقام إنكار القوم هذه الحقيقة وغرابتها عنهم اقتضى تأكيداً مضاعفاً في جملة موجزة بالنفي والاستثناء"[3].

سابعاً: قال: {أَفَلَا تَتَّقُونَ} استفهام إنكاري وأسلوب عرض جميل في بداية الآية أمرهم بالعبادة، وهو أمر حقيقي والزامي {ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ}، أما هنا فهو عرض لطيف، وأسلوب رقيق تودداً وجذباً لهم، "وَجُمْلَةُ: أَفَلا تَتَّقُونَ اسْتِفْهَامِيَّةٌ إِنْكَارِيَّةٌ مَعْطُوفَةٌ بِفَاءِ التَّفْرِيعِ عَلَى جُمْلَةِ: مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، وَالْمُرَادُ بِالتَّقْوَى الْحَذَرُ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى إِشْرَاكِهِمْ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ وَاعْتِقَادِ الْإِلَهِيَّةِ، وَفِيهِ تَعْرِيضٌ بِوَعِيدِهِمْ إِنِ اسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ. وَإِنَّمَا ابْتُدِأَ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ إِغْلَاظًا فِي الدَّعْوَةِ لِفَظَاعَةِ الشِّرْكِ"[4].

---

[1] التحرير والتنوير (٨/ ٢٠١)

[2] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٣١٨)

[3] معاني القران للفراء (١/ ٣٨٢) والحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٢٧، ٢٨).

[4] التحرير والتنوير (٨ / ٢٠٢).

ثامناً: قال في الآية الكريمة: {قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ} جاء الرد من الملأ الذين كفروا، ودلالة الوصف أنه خصص، وقيد الملأ بالذين كفروا وقيد آخر {مِن قَوْمِهِۦٓ} وفيها إشارة إلى أن من وجهاء القوم من آمن لهود عليه السلام ، فقيد الذين كفروا منع تعميم الرد من الملأ جميعاً، فلفظ الملأ والقوم ناسبتا موقعهما في السياق؛ لأن من يتصدى لرسالة الأنبياء هم الوجهاء والأعيان، وهم بعض من القوم فناسب كل لفظ موقعه في الآية.

تاسعاً: قال سبحانه على لسان الملأ: {إِنَّا لَنَرَىٰكَ} إتهام مؤكد بإن واللام الداخلة على الفعل المضارع، وفي تأكيدهم هذا دلالة على بعدهم وشططهم في الكفر واستخدام الظرف أي أنك داخل السفاهة وأحاطت بك كما يحيط الظرف بالمظروف.

عاشراً: قال تعالى على لسان الملأ {فِي سَفَاهَةٍ} كلمة سفاهة هنا نكرة، وجعلوها ظرفية، وكأنهم يرونه رأي العين في الجهل وضعف العقل عندما دعاهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان، "وجعلت السفاهة ظرفاً على طريق المجاز أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها "[1]؛ ولأنهم أرادوا أنه مغموس في السفاهة، فلا يطمع في رشده، واستعير حرف الجر (في) من الظرفية للدلالة على تلبسه بالسفاهة، وتمكنه منه كتلبس الظرف بالمظروف؛ ولأنهم بالغوا في نسبة السفاهة له بالغ هو في نفيه عن نفسه[2].

الحادي عشر: قال تعالى : {وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ} جاءت الجملة موصولة بحرف الوصل (الواو)، وتأكيد بإن واللام الداخلة على الفعل المضارع بعد اتهامهم له بالسفاهة لم يتوقفوا عند هذا الحد، بل وصفوه بالكذب وبالغوا في وصفه باسم الفاعل، ولا يعبروا بالفعل دلالة على تمكن معنى الكذب الذي وصفوه به عَلَيْهِ السَّلَامُ، "وَأَرَادُوا تَكْذِيبَهُ فِي قَوْلِهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ، وَفِيمَا يَتَضَمَّنُهُ قَوْلُهُ ذَلِكَ مِنْ كَوْنِهِ رَسُولًا إِلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ"[3].

الثاني عشر{قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} ناسب في هذا السياق ذكر القوم؛ لأن الخطاب موجه للعموم واقتضى الموقف أن ينفي عن نفسه السفاهة للقوم جميعاً، ويبين لهم أنه رسول من رب العالمين، فناسبت موضعها في السياق دون الملأ وتقديم خبر ليس على اسمها وتنكير السفاهة للتقليل، وبعد ما وصفوه بالسفاهة وبالغوا في وصفه بالكذب جاء الرد من هود عليه السلام ، وكأنه على صيغة جواب لسؤال ماذا كان رد هود عليه السلام ؟ فجاء

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (٢ / ١١٦).

(٢) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٢٣٩).

(٣) التحرير والتنوير (٨ / ٢٠٢).

الجواب متلطفاً ومستميلاً لهم بندائهم جميعاً، ونفى عن نفسه ما وصفوه به فقال: {لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ}، فنفى عن نفسه أن تلتصق به سفاهة واحدة " قال معلماً الأدب في مخاطبة السفهاء{قَالَ يَٰقَوْمِ} مذكراً بما بينهم من النسب الداعي إلى الود والمناصحة والعطف والملاطفة {لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ}، فنفى أن يكون به شيء من خفة حلم، فانتفى أن يكون كاذباً؛ لأن الداعي إلى الكذب الخفة والطيش، فلم يحتج إلى تخصيصه بنفي"[1].

بعد ذلك استأنف لهم بإثبات الضد، فقال: {وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} بأنه تعالى لا يأتي لهم بشيء من عنده، وإنما هو مرسل من رب العالمين تعالى، فهو المستحق للعبادة، "والعطف بلكن ينفي ما أثبتوه ويثبت ما نفوه، وهي من قصر القلب"[2]، "وفي حكاية ذلك عنهم تعليم للعباد كيف يخاطبون السفهاء، وكيف يغضون عنه ويسلبون أذيالهم على ما يكون منهم"[3]، وهو مشابه لرد نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على قومه كما بيناه في المبحث الأول.

المواضع المختلفة في سورة هود:

أولاً: قال عز وجل على لسان هود {إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ}، وهنا أسلوب " قصر الموصوف (أنتم) على الصفة (مفترون)، وهو من القصر الحقيقي، وليس المراد نفي كل ما عدا الافتراء من الصفات، ولكن ما كان منه بسبب، أو ما يتصور اجتماعه معه في الذهن كالصدق والحق والإنصاف، ونبي الله يحصرهم في هذه الصفة دون غيرها بسبب شدة عنادهم ورفضهم على أنه يُستظهر من العبارة ما يثبت أن هناك زعماً خاصًا من الخاطبين ينافي ما أثبته نبي الله، فقد جاء كلامه ابتداء مبنياً على ما يراه من حالهم"[4]، فقصر الافتراء عليهم منزهاً نفسه عن ما يتهمونه به، واختلافها عن الآية في سورة الأعراف في قوله: (أفلا تتقون)، "فإن الفاصلة في كلتا الآيتين تدل على أن الدعوة إلى عباد الله وحده لم تكرر إلا لتكرر قولها في موقفين مختلفين تشير كل فاصلة إلى واحد منها، فإن ما ورد في سورة الأعراف كان بإزاء لفتهم إلى ما أصاب قوم نوح عليه السلام ، واستبعاد عدم خوفهم وإنكار عدم اتقائهم العذاب بعد ما علموا بما حل بمن سبقوهم، أما في سورة هود فكان بإزاء لفتهم إلى حالهم وصفتهم القبيحة حين يتمسكون باتخاذ الأصنام شركاء

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣/ ٥١).

[2] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (١٠٠).

[3] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية (٨ / ١٣٦).

[4] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٩٢) .

لله، أو حين يزعمون أن الله أمرهم بعبادتهم"[1]، لأن المعنى ما يذكر أبو السعود: "ما أنتم باتخاذكم الأصنام شركاء له أو بقولكم: إن الله أمرنا بعبادتها إلا مفترون عليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً "[2].

ثانياً: في الآيات {يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٥١ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ} السياقات في هذه الآيات تقتضي ذكر القوم دون الملأ؛ لأن الخطاب عام، وليس خاصاً وتكرار لفظ القوم فيه تحنن وتلطف لهم وكأنه بهذا التكرار يمهد تمهيداً لطيفاً لكي يتقبل القوم دعوته عليه السلام ، وهو أسلوب من أساليب الدعوة، فالداعية إلى الله لابد أن يكون رقيقاً؛ لأن الأسلوب الشديد ينفر ويفرق ولا يجمع ويصد ولا ينفع قال تعالى : {وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ} [سورة النحل:١٢٥] بعد مناداتهم ونسبتهم له زاد من التحنن والتلطف معهم فقال: {يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓ}، وهنا أسلوب قصر الصفة على الموصوف فقصر إعطاء الأجر على الله تعالى ، وأنه لا يريد من ذلك أجراً منهم، بل هو مرسل من عند الله ويبتغي الأجر منه تعالى ، "والباعث في ذلك أن يبين لهم صدقه وإخلاصه، ويؤكد البرهان على صدقه بهذا القصر، فكأنه ينزلهم بسبب رفضهم منزلة من اتهمه بطلب الأجر "[3].

ثالثاً: قال تعالى : {أَفَلَا تَعۡقِلُونَ} أسلوب عرض لطيف وجميل وخاطبهم بالمضارع كي يحتم عليه الجواب، ويعود إلى طريق الهدى والصواب، ثم كرر مناداتهم، فقال: {ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ } أمرهم بالاستغفار، ثم التوبة والاستغفار لابد أن يكون على ذنب مضى، فهو يأمرهم بالاستغفار من عبادة الأصنام والأوثان، ومن لوازم الاستغفار من الذنب الندم وعدم العودة لهذا الفعل، فجاء أمره بعدها بالتوبة معطوفة، بثم التي تدل على التراخي، "وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ عطف على ألا تعبدوا، ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، ثم توسلوا إلى مطلوبكم بالتوبة، فإن المعرض عن طريق الحق لا بد له من الرجوع، وقيل استغفروا من الشرك، ثم توبوا إلى الله بالطاعة، ويجوز أن يكون، ثم لتفاوت ما بين الأمرين"[4].

رابعاً: قال تعالى على لسانهم: {وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ} أوغلوا في الكفر ونفوا الأيمان بأسلوب الجملة الاسمية والاسم أمكن في المعنى من الفعل، فأكدوا

---

[1] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٣٠٩).

[2] – تفسير أبو السعود (٢ / ٢٨).

[3] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٩٥).

[4] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي (٣ /١٢٧)

نفي إيمانهم به.

الحادي عشر: قال تعالى : {نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ} أسلوب نفي وقصر ومبلغة في الاتهام.

خامساً: قال تعالى على لسان هود عليه السلام: {قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ} قال إني أشهد الله ولم يعطف شهادة قومه الكافرين على شهادة الله سبحانه تنزيهاً له تعالى فعدل الأسلوب من الخبر إلى الإنشاء، "فتجد أن مقتضى الظاهر ان يقال: أشهد الله وأشهدكم، فعدل عن ذلك الأمر: (واشهدوا)؛ لمغزى بلاغي جليل وهو: أن في أمرهم أن يشهدوا ببراءته من دينهم ضرباً من التحدي الذي ينبئ بحقارة ما يعبدون، وفيه أيضاً دلالة على أن إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت، وأما اشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم، ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب؛ ولذا عدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما"[1].

سادساً: قال تعالى: {وَتِلۡكَ عَادٞ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ}، وصفهم الله تعالى بالجحود والعصيان ودلالة جمع الرسل هنا أن من عصى رسولاً واحداً فكأنما عصى الرسل جميعهم ودلالة على شناعة فعلهم وقبح صنيعهم.

{وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ} جملة دعائية في معنى الإنشاء، واللعنة هي الطرد من رحمة الله، فلما كفروا واذعنوا في الكفر رفع الله عنهم رحمته، وسلط عليه الريح تدمر كل شيء وقدم الدنيا؛ لأن العذاب حل بهم، وبقي عذابهم يوم القيامة على كفرهم بالله وعصيانهم رسله

---

[1] علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني – د بسيوني (ص: ٢٧٩) .

الفرق بين حوار نوح عليه السلام **وحوار هود** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

القصتان جاءتا متشابهتين في بدايتهما إلى حد كبير ففي بداية قصة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **مع قومه قال:** {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا}، **وهو استئناف لحديث جدي غير مرتبط بما قبله، وهي بداية قصص الأنبياء في السورة، ولم تعطف على قصة سابقة لها أما في حوار هود قال:** {وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ} **[سورة الأحقاف:٢١]، عطفت على قصة نوح** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **في تسلسل قصصي رائع، كما أنه عمم رسالة نوح عليه السلام الذي أرسل إلى أهل الأرض جميعاً أما في قصة هود، فقد خصص الرسالة إلى قوم عاد، فجاء** {وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ}.

من الملاحظ أيضاً أن في قصة نوح جاءت بفاء التعقيب وياء النداء، بينما في سورة هود لم تذكر بعد ذلك توحدت الرسالة بدلالة أمرهم لأقوامهم بالعبادة وتوحيد الله ﷻ **فقال:** {مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ} [سورة الأعراف:٥٩]، **ثم جاء الفرق بين القصتين، ففي خطاب نوح عليه السلام قال:** {إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} **قوم نوح أهلكوا جميعاً بالطوفان، وهو أول عذاب حدث فجاء منبهاً لهم من ذلك اليوم، أما في حوار هود قال:** {أَفَلَا تَتَّقُونَ} **القصة معطوفة على قصة نوح** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **فهود عليه السلام يوبخهم على عدم اتعاظهم من عذاب قوم نوح منكراً عليهم ذلك.**

في قصة نوح جاء الجواب من الملأ جميعاً واتهموه بالضلال، بينما في قصة هود جاء الجواب من بعض الملأ، وهم الذين كفروا، واتهموه بالسفاهة، ومجيئ الرد من قوم نوح من الملأ جميعاً؛ لأنهم لم يؤمن منهم أحد أما قوم هود، فقد آمن بعضهم، واتهامهم لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **بالضلال؛ لأنه كان ينذرهم بعذاب يوم عظيم، ويصنع الفلك في صحراء، فلم تصدق عقولهم أن يكون هذا عذابهم أما قوم هود** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **فاتهموه بالسفاهة؛ لأنه كان يدعوهم إلى ترك عبادة الأوثان، فيرون أنه جاهل وبعيد عن الحق الصواب حتى حل بهم العذاب، كما عذب قوم نوح عليه السلام قبله، فأرسل عليهم الله تعالى الريح.**

أيضاً في حوار نوح عليه السلام قال: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾} **[سورة الأعراف:٦٢]، جاءت مؤكدة بالجملة الفعلية دالة على تجدد الدعوة وإصراره عليه السلام بدعوتهم على ما يلقاه من التصدي والتكذيب، أما في حوار هو عليه السلام د فقد جاءت:** {أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾} **[سورة الأعراف:٦٨]، فجاءت بالجملة الاسمية، وأنهم لا يريد منهم أجراً، وإنما هي دعوة إلى دين الله** ﷻ **لا يرجوا من خلفها شيئاً.**

الموضع الثاني في سورة الأحقاف قال تعالى:

{وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ

أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾} [سورة الأحقاف:٢١-٢٥].

في هذه الآيات ذكر لفظ القوم، فناسبت مكانها؛ لأنها أتت في سياق ذكر الدعوة والدعوة لابد أن تكون للقوم جميعاً فهود عليه السلام أُرسل لقومه جميعاً، ولم يرسل لملأ منهم واقتضى الجزاء أن يكون للقوم المجرمين من القوم والملأ الموصوفين بالمجرمين، فاستخدم لفظ القوم هنا؛ لأنها تدل على العموم، وتشمل الملأ، وغير الملأ ممن وصفهم الله تعالى بالمجرمين.

" {وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ}.{بِٱلْأَحْقَافِ}: جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء، من احقوقف الشيء إذا اعوج، وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن، وقيل: بين عمان ومهرة، و{ٱلنُّذُرُ} جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار {مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ} من قبله {وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ}، ومن بعده. وقرئ: {من بين يديه ومن بعده}، والمعنى: أنّ هودا عليه السلام قد أنذرهم، فقال لهم: لا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم العذاب، وأعلمهم أنّ الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره، وعن ابن عباس -رضي الله عنه-: يعنى الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه، ومعنى {وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ} على هذا التفسير، ومن بعد إنذاره هذا إذا علقت، {وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ} بقوله: {إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ}؛ ولك أن تجعل قوله تعالى: {وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ} اعتراضا بين {أَنذَرَ قَوْمَهُۥ}، وبين {أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ}، ويكون المعنى: واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك، فاذكرهم"[1].

بعد ذلك استخدم أسلوب القصر في قوله: {قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ}، فقصر العلم على الله تعالى ، وقصر على نفسه تبليغ الرسالة.

---

[1] الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٠٦).

الموضع الثالث جاء في سورة الحاقة قال تعالى:

{وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨} [سورة الحاقة:٦-٨].

في هذه الآيات جاء لفظ القوم، وقد صادفت موقعها، وناسبت مكانها؛ لأن الهلاك عم القوم جميعاً؛ لأنهم كانوا مكذبين وعارضوا دعوة نبي الله هود .

جمال التصوير البياني والتعبير القرآني في هذه الآيات، وفي سورة الحاقة عموماً حمل تعظيماً وتهويلاً للعذاب بقوة الألفاظ التي تركبت منها الآيات جعلت من القصة، وكأنها مشهد حسي مشاهد أمامهم؛ كي يحقق بها التأثير ولفت الانتباه، ويجعل النفس البشرية تخاف أن يحل بها ما حل بالأمم السابقة، وفيها تشبيه لهم فالمشبه هم القوم والمشبه به هو اعجاز النخل الخاوية ووجه الشبه في ذلك النهاية **التي حدثت لهم جراء العذاب** "**{كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} أَيْ كَأَنَّهُمْ أُصُولُ نَخْلٍ خَالِيَةِ الْأَجْوَافِ لَا شَيْءَ فِيهَا، وَالنَّخْلُ يُؤَنَّثُ وَيُذَكَّرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: {تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠} [سورة القمر:٢٠]، وَقُرِئَ: (أَعْجَازُ نَخِيلٍ)**، ثُمَّ يُحْتَمَلُ أَنَّهُمْ شُبِّهُوا بِالنَّخِيلِ الَّتِي قُلِعَتْ مِنْ أَصْلِهَا، وَهُوَ إِخْبَارٌ عَنْ عَظِيمِ خَلْقِهِمْ وَأَجْسَامِهِمْ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ الْأُصُولَ دُونَ الْجُذُوعِ، أَيْ أَنَّ الرِّيحَ قَدْ قَطَّعَتْهُمْ حَتَّى صَارُوا قِطَعًا ضِخَامًا كَأُصُولِ النَّخْلِ، وَأَمَّا وَصْفُ النَّخْلِ بِالْخَوَاءِ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ وَصْفًا لِلْقَوْمِ، فَإِنَّ الرِّيحَ كَانَتْ تَدْخُلُ أَجْوَافَهُمْ فَتَصْرَعُهُمْ كَالنَّخْلِ الْخَاوِيَةِ الْجَوْفِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْخَالِيَةُ بِمَعْنَى الْبَالِيَةِ لِأَنَّهَا إِذَا بَلِيَتْ خَلَتْ أَجْوَافُهَا، فَشُبِّهُوا بَعْدَ أَنْ أهلكوا بالنخيل البالية "[1].

وقد وصف الله الريح بأنها (صرصر) أي "مزعجة مؤلمة ببردها يحكي بمقطعية صوت تلك الريح على أن تكرار المقطع يشعر بأن الصوت لم يكن على امتداد واحد، و إنما هي ضربات متتالية موجعة"[2]، " فهو ينظر من جهة استعارة العتو للشدة والأولى أن ننظر من جهة أخرى هي تشبيه الريح بإنسان جاوز الحد في الطغيان حذف و أثبت لازمه للمشبه، وفيه تصوير الريح قد جاوزت الحد في عصفها وقهرها حتى لم يفلت منها أحد مهما كانت قوته وحيلته؛ لأنها تنتزعه انتزاعاً شديداً؛ وذلك يبرز الريح ويعطيها الحياة والقوة والتصرف "[3].

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠ / ٦٢٢)

(٢) – ينظر المرجع السابق الحوار في القران الكريم (٣٢٥-٣٢٩)

(٣) – ينظر المرجع السابق الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٣٢٥)

القوم والملأ في حوار صالح عليه السلام مع قومه

إذا تتبعنا حوار صالح عليه السلام مع قومه وجدناه تكرر في أربع سور ونظراً للتشابه الواضح في السياقات رأيت أن أدرس هذه الآيات مجموعة تفادياً من التكرار، وجاء الحوار في سورة المؤمنون، وهو حوار قصير رأيت أن تكون معالجته على حده نظراً لاختلاف الأساليب وتقارب التكرار.

وحوار صالح عليه السلام ورد في القران في سورة الأعراف، وسورة هود، وسورة النمل، وسورة المؤمنون، وهي كالتالي:

أولاً: في سورة الأعراف قال تعالى:

{وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾} [سورة الأعراف:٧٣-٧٩].

وفي سورة هود قوله تعالى:

{وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى

وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾} [سورة هود: ٦١-٦٤].

وفي سورة النمل قال تعالى:

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾} [سورة النمل: ٤٥-٤٦].

هذه الحوارات القرآنية البديعة أتى استكمالاً للتسلسل القصصي في السور بعد حوار نوح عليه السلام مع قومه، وحوار هود عليه السلام مع قومه، وتصور لنا هذه الحوارات ما لاقاه الرسل من التكذيب، كما أنها كشفت لنا جمال التعبير القرآني في سياق كل قصة، وفي هذه الآيات المباركة أتى حوار صالح عليه السلام بعد حوار هود عليه السلام ، و افتتح الحوار، كما افتتح في حوار هود ،

فكلا الحوارين عطفًا على حوار نوح عليه السلام مع قومه فقال عليه السلام: **{* وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا} أي كما أرسلنا نوحاً إلى قومه أرسلنا صالحاً إلى قومه، وهم قوم ثمود.**

وفي هذا الحوار ذكر لفظي القوم والملأ وناسب كل لفظ موضعه فموضع القوم في الآية لا يناسب لفظ الملأ؛ لأن الدعوة عامة لعبادة الله وحده، فلابد أن توجه للقوم جميعاً أما في موضع لفظ الملأ ، فلا يناسب ذكر لفظ القوم؛ لأن الاعتراض على دعوته أتى من بعض القوم، وهم الملأ؛ ولأنها بداية دعوته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولا يعترض دعوة الأنبياء والرسل إلا الوجهاء وأصحاب النفوذ، لأن دعوة الرسل تتقاطع مع مصالحهم ونفوذهم في قومهم فناسب اختيار كل لفظ موضعه، وفي هذه الآيات "يعرض الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دعوته و آية ربه بشكل أخاذ يهز العقول، فالمجيء هنا قد أسند في هذه الشواهد البينة، وهي في الحقيقة لا تجيء، و إنما يأتي بها صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ففي هذا الإسناد تجوز لتصوير البينة؛ لأنها من البيان والظهور، وكأنها آتية تعلن عن نفسها، وفي ذلك إشارة إلى تجرد الرسول من المصلحة الشخصية؛ لأنه لم يأت من غير بينة، ولم يأت ببينة من عنده، بل بحجة (من ربكم) شاهدة على صدقه، ويشير التجوز الإسنادي أيضاً إلى أنها حجة ملزمة لا عذر لكم في إنكارها؛ لأنها تبين عن نفسها بقوتها وظهورها، ولعل هذا وراء التعبير بلفظ (بينة)

دون آية أوحجة "[1] يقول الألوسي: "واسناد الإتيان إليه _ يعني القران المعبر عنه بالبينة _ مع جعلهم إياه مأتياً به للتنبيه على أصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبينة "[2]

وقد اتسم الحوار بخصائص بلاغية منها:

١ـ دلالة النداء: في قوله تعالى: {قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ} استخدم ياء النداء وهي أكثر تنبيهاً وأكثر لفتاً، وتستخدم لنداء القريب والبعيد سواء بعد بعضهم مكاناً عنه أو بعدهم عن الدين والحق وانغماسهم في الكفر والبعد عن الله، وقد تكرر هذا النداء في السورتين، ففي سورة الأعراف ورد في قوله تعالى: {أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢} [سورة الأعراف:٦٢]، وفي سورة هود كرر النداء في موضعين آخرين، فقال: {قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي}، وقال أيضاً: {وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤} [سورة هود:٦٤]، وقد جاءت هذه التكرارات استمالة واستعطافاً للقوم؛ لفتح مغاليق قلوبهم، وفي نسبة القوم إليه أحرى بقبول دعوته، كما أن الإلحاح بالتكرار يلين قلوبهم ويستنهض هممهم لقبول رسالته عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

٣ـ الابتداء: المتأمل في سياق سورتي الأعراف وهود يجد أن صالحاً عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وظف أسلوب اللفت والتنبيه لقومه، وهو ابتداءً ناجح يضمن سلامة ميلهم وخضوعهم، وأسلوب الابتداء من الأساليب البديعية التي تضمن التأنق في الكلام، وذكر البلاغيون أنّ الأديب ينبغي أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى يكون أعذب لفظًا، وأحسن سبكًا، وأصح معنى، وهذه المواضع هي: الابتداء، والتخلص، والانتهاء، والابتداء أن يكون مطلع الكلام شعرًا أو نثرًا، أنيقًا بديعًا؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فيقبل السامع على الكلام ويعيه[3].

٤ـ بلاغة الإضافة: إضافة الناقة والأرض إلى الله في قوله تعالى: {وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ}، وقوله تعالى: {فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ} قال الرازي: "فيه وجوه، قيل: إضافتها إلى الله تشريفًا وتخصيصًا كقوله: بيت الله، وقيل: لأنه خلقها بلا واسطة، وقيل: لأنها لا مالك لها غير الله، وقيل: لأنها حجة الله على القوم، ثم قال: فذروها تأكل في أرض الله أيَّ الأرض؟ أرض الله، والناقة ناقة الله،

---

[1] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٢٧٤، ٢٧٥).

[2] وح المعاني للألوسي (١٦ / ٢٥٨).

[3] يوسف پورنظامي ايوب. كنكاشي بوم–جامعه شناختي در قصه قرآني صالح وناقه الله.

فذروها تأكل في أرض ربها، فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من إنباتكم، ولا تمسوها بسوء ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوا منها شيئا من أنواع الأذي "[1].

٥ ـ دلالة الأمر: جاءت الأوامر في سياق السورتين في عدة مواضع:

الموضع الأول: في قوله تعالى: {ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ} جاء الأمر حقيقياً، فلا يوجد لهم خيار سوى الطاعة، فلو جاء بأسلوب غير أسلوب الأمر؛ لكانت الدعوة محل تخيير لهم بقبول أو رفض، كما أن هذا الأسلوب تكرر في سورة هود ويحمل نفس السياق والمعنى.

الموضع الثاني: قوله تعالى في سورة الأعراف: {وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ} [سورة الأعراف:٧٤]، وقوله تعالى: {فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ}، وقد جاء أسلوب الأمر للنصح والإرشاد، ولا يتناقض النصح والإرشاد مع الوجوب، فالمنصوح يجب عليه أن ينهض بتلك الأوامر، وأن يمتثلها، إذ الواجب ينصح به ويرشد إليه "[2].

وفي قوله تعالى في سورة هود: {فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ} أسلوب الأمر هنا جاء بدلالة النصح والتوجيه الذي يقتضي الوجوب، فجاء يأمرهم بالاستغفار والتوبة حتى لا يصيبهم ما أصاب الأمم التي سبقتهم حين عصوا رسلهم.

الموضع الثالث: في قوله تعالى: {وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ} [سورة الأعراف:٧٧].

جاء أسلوب الأمر على سبيل التعجيز والتهكم فهم أقدموا على عقر الناقة حين قال لهم صالح عليه السلام: {وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ قَرِيبٞ} فأقدموا على الفعل ظناً منهم أنهم في مأمن من العذاب.

٦ـ دلالة التنكير: وقد جاء على عدة مواضع:

الموضع الأول: في قوله تعالى: {ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ}، وتكررت في مقاطع السورتين، فجاء تنكير كلمة (إله) في سياق النفي للدلالة على التعظيم والتفخيم، فجاء النفي بشكل قاطع بأنه لا إله إلا الله ولا شريك له في الألوهية.

الموضع الثاني: في قوله تعالى: في قوله تعالى في سورة الأعراف: {قَدۡ

---

[1] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب هو كتاب تفسير للقرآن، فخر الدين الرازي، تحقيق: سيد عمران (١٤ / ٣٠٦).

[2] علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني، بسيوني، ص ٣٦٦ .

جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ} [سورة الأعراف:٧٣]، وفي قوله تعالى في سورة هود: {وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ} [سورة هود:٦٣]، فجاء تنكير كلمة (بينة، آية، رحمة) في هذا الموضع إشارة إلى أنها من نوع خاص متميز عن سائر البينات يعرفه المخاطب، وصالح عليه السلام: "لم يأت من غير بينة، ولم يأت ببينة من عنده بل بحجة {لَكُمۡ ءَايَةٗ} شاهدة على صدقه، ويشير التجوز الإسنادي أيضاً إلى أنها حجة ملزمة لا عذر لكم في إنكارها؛ لأنها تبين عن نفسها بقوتها وظهورها، ولعل هذا وراء التعبير بلفظ (بينة) دون آية أو حجة "[1] فأفاد التنكير هنا التعظيم.

الموضع الثالث: قوله تعالى في سورة الأعراف: {وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ}، وقوله تعالى في سورة هود: {فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ} جاء التنكير في كلمة سوءً؛ لإفادة التقليل " فنهاهم عن مسّها بشيء من الأذى، وهذا تنبيه بالأدنى على الأعلى إذا كان قد نهاهم عن مسّها بسوء إكراماً لآية الله فنهيه عن نحرها وعقرها ومنعها عن الماء والكلأ أولى وأحرى والمسّ والأخذ هنا استعارة، وهذا وعيد شديد لمن مسّها بسوء والعذاب الأليم هو ما حلّ بهم إذ عقروها، وما أعد لهم في الآخرة"[2].

٧- دلالة النهي: وقد أتى في موضعين:

الموضع الأول: في قوله تعالى في سورة الأعراف: {وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ} [سورة الأعراف:٧٣]، وفي سورة هود: {وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ}، وقد جاء أسلوب النهي في الآيتين على سبيل النصح والإرشاد، فالمراد هو تنبيههم ونصحهم من التعرض للناقة حتى ولو بأقل أذى هو المس.

الموضع الثاني: قوله تعالى: {وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ} جاء أسلوب النهي في هذه الآية على سبيل النصح والإرشاد، ونجد الدقة في اختيار لفظة (تعثوا) إذ معناها في الأصل لما اضطرب من الأمور يقال: "العثا للشعر الجافي المشعث والعثا لما تشعث من النبات...، وقالوا: عثا المشيب في

---

[1] الحوار في القرآن الكريم: خصائصه التركيبية وصوره البيانية، محمد إبراهيم عبدالعزيز شادي (٢٧٤، ٢٧٥)

[2] البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، المحقق: صدقي محمد جميل، (ج ٤ ص ٣٣١، ٣٣٢).

الرأس أي أفسد"[1]، فالدقة هنا تتضح في الكلمة، فهي أبلغ في التعبير عن الفساد، {وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ} أي لا يكثر فسادكم ولا يتشعث في البلاد ولا يتفرق بين العباد.

٨- دلالة التأكيد: وقد أتى في موضعين:

الموضع الأول: في قوله تعالى في سورة الأعراف: {بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥} [سورة الأعراف:٧٥]، وقوله تعالى في الآية التي تليها: {إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ} [سورة الأعراف:٧٦]، جاء التأكيد في الآيتين دلالة على ثبات من آمن مع صالح عليه على الإيمان في الآية الأولى، وعلى توغل الكافرين بكفرهم في الآية الثانية.

الموضع الثاني: في قوله تعالى في سورة هود: {فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١} [سورة هود:٦١]، جاء التأكيد بإن: "لكمال الربط بين الجملتين، فقد ربطت الجملة بما قبلها وأتلفت واتحدت بها، حتى كأن الكلاميين قد أفرغا إفراغاً واحداً، وكأن أحدهما سبك للآخر"[2].

الموضع الرابع: في قوله تعالى في سورة هود: {وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ} [سورة هود:٦٢] جاء التأكيد مبالغة في الشك "وجملة وإننا لفي شك معطوفة على جملة يا صالح قد كنت فينا مرجوًا، فبعد أن ذكروا يأسهم من صلاح حاله ذكروا أنهم يشكون في صدق أنه مرسل إليهم، وزادوا ذلك تأكيدًا بحرف التأكيد، ومن محاسن النكت هنا إثبات نون (إن) مع نون ضمير الجمع؛ لأن ذلك زيادة إظهار لحرف التوكيد والإظهار ضرب من التحقيق"[3].

التقديم والتأخير: وقد جاء في عدة مواضع:

الموضع الأول: قوله تعالى: {وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗا} [سورة الأعراف:٧٣] جاء الأسلوب هنا بتقديم الجار والمجرور على المنصوب؛ لإفادة معنى القصر والاختصاص.

الموضع الثاني: قوله تعالى: {مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ} قدم قومه؛ لأنهم المقصودون بالحديث، وفيها تشويق للمبتدأ المؤخر، فأصلها في غير القران ما إله لكم غيره، "وتقديم المسند هنا يفيد التقوية والتأكيد خاصة عندما يكون المسند

---

[1] معجم ألفاظ القرآن الكريم (الجزء الأول) من الهمزة إلى السين، مجمع اللغة العربية (٢ / ١٢).

[2] دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، (ص ٣١٦).

[3] التحرير والتنوير (١٢ / ١١٠).

جاراً ومجروراً، والمسند هنا هو الجار والمجرور (لكم) على المسند إليه (من إله) و(غيره) صفة المسند إليه، وهذا التقديم يؤكد نفي الشركاء ويقويه فضلاً عن التوكيد الحاصل من القصر بالنفي وغير؛ لأن المعنى مالكم من إله إلا إياه، ومقام إنكار القوم هذه الحقيقة وغرابتها عنهم أقتضى تأكيداً مضاعفاً في جملة موجزة بالنفي والاستثناء"[1].

الموضع الثالث: قوله تعالى: {هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ} جاء التقديم؛ لإفادة الاختصاص فآية الناقة خاصة لهم لا لغيرهم، قال ابن حيان: "ولأنها حجة على القوم ولما أودع فيها من الآيات ذكرها في قصة قوم صالح، ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الإيمان، وهم ثمود؛ لأنهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها كأنه قال لكم خصوصًا"[2].

الموضع الرابع: قوله تعالى: {بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ} [سورة الأعراف:٧٥]، وقوله تعالى في الآية التي تليها: {إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ} [سورة الأعراف:٧٦]، وقد جاء التقديم في الآيتين؛ لتقوية الحكم وتقريره، فأكد قوة إيمان من آمن وكفر من كفر.

الوجه الخامس: قوله تعالى في سورة هود: {قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآ} [سورة هود:٦٢]، وقد جاء التقديم هنا مفيداً الاختصاص.

الوجه السادس: قوله تعالى في سورة هود: {قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ} [سورة هود:٦٣]، وقد جاء التقديم هنا، لتقوية الفعل واختصاص الله تعالى بالرحمة.

٩- دلالة الاستفهام: وقد أتى في عدة مواضع:

الموضع الأول: قوله تعالى في سورة هود: {أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٦٢} [سورة هود:٦٢] جاء الاستفهام بالهمزة في مقام الإنكار التوبيخي.

الموضع الثاني: قوله تعالى في سورة هود: {أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥ} جاء الاستفهام بالهمزة

---

[1] معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي(١/ ٣٨٢)، والحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية، محمد إبراهيم شادي (٢٧، ٢٨).

[2] – البحر المحيط في التفسير – مرجع سابق (٥ / ٩٢)

في مقام الإنكار بالنفي، " أي لاَ نجْبِرُكُمْ بِالإِكْرَاهِ على اتِّباعِ مَا جئتُكُمْ به، فاتّباع الدين لا يكن إلاّ بإرادةٍ اختياريّة، إذْ لا إكْرَاهَ في الدين"[1].

ودلالة الاستفهام في قوله تعالى في سورة النمل: {قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ} [سورة النمل:٤٦]، فقد جاء للتوبيخ.

١٠- دلالة القصر: جاء في قوله تعالى في سورة هود: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ} [سورة هود:٦١].

١١- "قصر صفة الألوهية على الله قصراً حقيقياً "[2]، وجاء القصر بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي من " خلال الاستئناف المبين أو المعلل يلفتهم إلى أن ما هم فيه من نعم، كابتداء الخلق في الأرض والعيش والتمكن فيها بفضله وقدرته وحده دون أحد غيره؛ وذلك بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي (هو أنشأكم)" [3]، "وجملة (هو أنشأكم من الأرض) في موضع التعليل للأمر بعبادة الله ونفي ألوهية غيره، وعدل الأسلوب، فجعل خبري الضمير (هو)، فعلين دون أن يقول: هو منشئكم ومستعمركم، لإفادة القصر، من تفنن الأسلوب أن جعلت هذه النعم علة لأمرهم بعبادة الله وحده بطريقة جملة التعليل، كما جعلت علة الأمر بالاستغفار والتوبة بطريقة التفريع"[4].

١٢- الاستعارة: جاءت في قوله تعالى في سورة الأعراف: {وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ أَلِيمٖ} [سورة الأعراف:٧٣]، وفي سورة هود: {وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ قَرِيبٖ}، فقد عبر في الآيتين عن نزول العذاب بالأخذ، وقد دلت الاستعارة على شدة العذاب والهلاك، "وهو استعارة، وقد نهاهم عن مسها بشيء من الأذى، وهذا تنبيه بالأدنى على الأعلى"[5].

١٣- العدول من المثنى إلى الجمع في قوله تعالى: {فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ۝٤٥} [سورة النمل:٤٥]، وضمير الجمع في يختصمون مع أنهم فريقان مراعاة لمجموع كل فريق، قال أبو السعود: " {فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ}، ففاجئوا التفرق

---

(١) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني (١ / ٢٧٣)

(٢) من هدي القرآ، نآية الله السيد المدرسي، تفسير بلاغي لسورة المؤمنون (٥٢)

(٣) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٢٩)

(٤) التحرير والتنوير: (١٢/ ١٠٧-١٠٨)، أسلوبية الحوار في القران الكريم، رسول حمود الدوري جائزة دبي الدولية للقران الكريم (٤٢).

(٥) البحر المحيط (٣ / ٣٢٨).

والاختصامَ فآمنَ فريقٌ وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين"[1].

رابعاً: في سورة المؤمنون قوله تعالى: {وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣} [سورة المؤمنون:٣٣].

وفي هذه الآية جاء سياق الآية بلفظة الملأ دون القوم لمناسبتها للسياق، فإن الخطاب من الملأ الذين كفروا للقوم محاولة لردهم عن الإيمان بنبي الله صالح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فمن غير المناسب أن يؤتى بلفظة القوم في هذا السياق؛ لأن سياق الحديث أتى من بعض القوم، وهم الملأ.

" في هذه الآية نجد أنه قدم الجار والمجرور {مِن قَوۡمِهِ} على صفة الملأ، وهي: {ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ}؛ وذلك لأنه لو أخر، فقيل: {وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ}؛ لتوهم أنه من صلة الدنيا، وأن المعنى وأترفناهم في الحياة الدنيا من قومه أي: القريبة منهم؛ وبذا يكون القائلون ليسوا من قومه، فدفعاً لهذا التوهم قدم الجار والمجرور، وقد نشأ التوهم من طول الصفة بالصلة وما عطف عليها كما هو واضح "[2].

وفي قوله: {مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ} "مبالغة في توهين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وتهوينه؛ وذلك بقصره على صفة البشرية، والرسول في زعمهم لا يكون بشراً "[3].

القوم والملأ في حوار شعيب عليه السلام مع قومه

هذا الحوار جاء في ثلاث سور، وستكون معالجتنا لهذا المبحث على غرار ما سبقه من مباحث في معالجة السياقات دفعة واحدة نظراً للتقارب الشديد بين أساليبها.

وحوار شعيب عليه السلام ، ورد في القران الكريم في سورة الأعراف وسورة هود وسورة العنكبوت، وهي كالتالي:

١- قال تعالى في سورة الأعراف:

{وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن

---

[1] تفسير أبو السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦ /٢٨٩).

[2] علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني – د بسيوني (٢٤٤، ٢٤٣)

[3] من هدي القرآن، آية الله السيد المدرسي. ص٦٠.

كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ * قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾} [سورة الأعراف:٨٥-٩٢].

٢- في سورة هود قوله تعالى:

{* وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ

وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾} [سورة هود: ٨٤-٩٣].

٣- في سورة العنكبوت قوله تعالى:

{وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾} **[سورة العنكبوت: ٣٦-٣٧].**

تستمر الحوارات القرآنية الرائعة في التدفق معنا في هذه السور في سرد روائي مذهل يكشف لنا جمال التعبير القرآني وما تحمله كل قصة من دلالات وهياكل المعنى الخاصة بكل قصة. نبي وآخر، لكنه يأتي لأن الرسل دعواتهم واحدة.

جاءت كلمة "القوم" و"الملأ" في هذه الآيات الكريمة، وكانت كل كلمة تتناسب مع مكانتها ومكانها وسياقها، ولما كانت الدعوة من نبي الله **شعيب** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **كان الخطاب مطلوباً لجميع الناس؛ لأن الدعوة كانت عامة على الناس جميعاً، وعندما جاء الرد جاء من الجمهور المتغطرس في سياق الاستجابة الأولى في سورة الأعراف قوله تعالى:{ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ}، وجاء من الكافرين في سياق الرد الثاني في سورة الأعراف عند قوله تعالى: { وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ}، وقد ناسبتا موضعهما؛ لأن الملأ هم من عارض دعوته، فلا يستساغ ذكر القوم في موضع الملأ، ولا ذكر الملأ في موضع القوم، وهنا تكمن الدقة التي لا توجد إلا في كتاب الله ﷻ.**

وقد اتسمت هذه الحوارات بخصائص بلاغية منها:

١- دلالة النداء: في قوله تعالى: {قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ}، خرج النداء هنا للفت والتنبيه، واستخدم ياء النداء، وهي أكثر تنبيهاً وأكثر لفتاً، وهي تستخدم لنداء القريب والبعيد سواءً بعد بعضهم مكاناً عنه أو بعدهم عن الدين والحق وانغماسهم في الكفر والبعد عن الله، وقد تكرر هذا النداء في مقاطع السور الثلاث، إلا أنه في سورة هود كرر النداء في مواضع كثيرة، وفي كل موضع تغير الغرض البلاغي عن الآخر، **فقال:** {وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ}، وكأنه يحذرهم من عاقبة الغش في **المكيال، وقال:** {قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى}، فهو هنا يقرر لهم حقيقة عقلية، وكأنه يحاججهم بالدليل؛ ليقنعهم به، **وقال:** {وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ

شِقَاقِيٓ} وهنا تحذير من الجور والظلم ونصيحة بأخذ العدل، وكرر أيضاً {قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ}، **وكانه يتعجب ويسخر من منطقهم ويحثهم على إعمال العقل والتفكر في عاقبة الأمر، ثم عطف بعد ذلك بقوله: {وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ}**، وهنا يتحول للنصح والإرشاد، وكأنه كذلك يتبرأ من سوء فعلهم، وينذرهم بأنه لن يستطيع أن ينفعهم إذا استمروا على حالهم، وقد أتت هذه التكرارات استمالة واستعطافاً للقوم لفتح مغاليق قلوبهم، وفي نسبة القوم إليه أحرى بقبول دعوته، كما أن الإلحاح بالتكرار يلين قلوبهم ويستنهض هممهم لقبول رسالته عليه السلام.

٢- دلالة الأمر: في الحوار سلسلة من الأوامر التي تقتضيها الدعوة، فجاءت على عدة أوجه، وخرجت عن الأمر الحقيقي إلى معان بلاغية متعددة في عدة مواضع، وهي كالتالي:

الموضع الأول في قوله: {ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ} جاء الأمر حقيقياً، فلا يوجد لهم خيار سوى ذلك، فلو جاء بأسلوب غير أسلوب الأمر لكانت الدعوة محل تخيير لهم بقبول أو رفض، كما أن هذا الأسلوب تكرر في مقاطع السور الثلاث، ويحمل نفس دلالة السياق والمعنى.

الموضع الثاني في قوله: {أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ}في مقطع سورة الأعراف و{أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ} في مقطع سورة هود، وقد خرج الأمر هنا إلى **معنى النصح والإرشاد وقوله: {أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِ} بعد قوله: {وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ}** [سورة هود:٨٤] " إشارة إلى " أنه لا يكفيهم مجرد الكف من النقص والبخس، بل يجب عليهم إصلاح ما أفسدوه وجعلوه معياراً لظلمهم وقانوناً لعدوانهم.

الموضع الثالث في قوله تعالى: {ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ} [سورة الأعراف:٨٩]، وقد وردت في مقطع سورة الأعراف فقط، وقد أتت في مقام الدعاء والطلب بأن يحكم الله بينه وبين قومه الكافرين قال أبو السعود: **" وقوله تعالى: {ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ} إعراضٌ عن مقاولتهم إثرَ ما ظهر له عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنهم** من العتو والعِناد بحيث لا يُتصور منهم الإيمانُ أصلاً و إقبالٌ على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كلَ من الفريقين أي احكم بيننا بالحق والفَتاحَةُ الحكومة، أو أظهرْ أمرنا حتى ينكشِفَ ما بيننا وبينهم ويتميز المُحقُّ من المبطِل من فتَحَ المُشكلَ إذا بيّنه **{وَأَنتَ**

خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾}

تذييلٌ مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين"[1].

الموضع الرابع: في قوله تعالى في سورة الأعراف: {وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾} [سورة الأعراف:٨٦] جاء أسلوب الأمر في هذه الآية تصويراً للحدث وبيان كيفية وقوعه، فصور لهم كيف كانوا قلة فكثرهم كما صور بيان حال المفسدين مبيناً قدرة الله تعالى البالغة على كل شيء(٢).

الموضع الخامس: في قوله تعالى في سورة الأعراف، {حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾}، ودلالة الأمر في هذا السياق يوحي بقوة التهديد والوعيد لهم حتى يحكم الله بينهم، وقد "استعمل الأمر في التحدي، فلجأ إلى شيء من التخويف، فالسياق والقرائن تبين المقصود من الأمر، وإلا فإن مادة الفعل أو معناه الحقيقي لا يفيد التهديد وإنما أفاده أن أحد الفريقين لم يؤمنوا فيكون أمرهم بأن يصبروا على حكم الله بينهما معناه انتظار العقاب"(٣).

الموضع السادس: في قوله تعالى في سورة هود: {وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ} [سورة هود:٣]، وأسلوب الأمر هنا جاء بدلالة النصح والتوجيه الذي يقتضي الوجوب، فجاء يأمرهم بالاستغفار والتوبة حتى لا يصيبهم ما أصاب الأمم التي سبقتهم حين عصوا رسلهم.

الموضع السابع: في قوله تعال: {ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ}، وقد وردت في مقطع سورة هود فقط، وقد جاء هذا الأسلوب بدلالة التهديد، فليس المراد هنا أنه يأمرهم بالبقاء على ما هم عليه من صد وبعد عن الحق، وإنما أراد تهديدهم بالعذاب في حال بقائهم على الكفر، فالمراد ليس الامتثال للأمر، وإنما الزجر والتهديد بالعذاب.

الموضع الثامن: في قوله تعالى: {وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم رَّقِيبٌ} [سورة

---

[1] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٣ /٢٥١).
[2] علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح (٣٦٨).
[3] الحوار في القرآن الكريم، محمد إبراهيم عبدالعزيز شادي (١٧٧)

هود:٩٣]، ورد هذا الوجه في مقطع سورة هود، وقد أتى الأمر هنا معطوفاً على الأمر السابق {ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ}؛ لأنه لا يزال في سياق الحديث عن تهديده لهم، فقد أتى أسلوب الأمر هنا في مقام رجحان طرف على آخر، **فقد قال تعالى:** {سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣} [سورة هود:٩٣]، وهذا يدل على أن شعيب ﷺ قد علم من حالهم عدم قبولهم الدعوة واهتدائهم، وقد أتى الأسلوب أيضاً على سبيل احتقار فعلهم وازدرائهم.

الموضع التاسع: في قوله تعالى: {وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ} [سورة العنكبوت:٣٦]، ورد هذا الوجه في مقطع سورة العنكبوت، وقد أتى الأسلوب هنا على سبيل النصح والإرشاد الذي يقتضي الوجوب فوقع أمر الرجاء هنا بين أمر بالعبادة، ونهي عن الإفساد في الأرض، كما هو واضح في قوله **تعالى:**{فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٣٦} [سورة العنكبوت:٣٦].

٣- النهي: في مقاطع الآيات السابقة سلسلة من النواهي التي تقتضيها مقام الدعوة، فجاءت على مواضع عده:

الموضع الأول: قوله تعالى في سورة الأعراف: {وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا}، **وفي سورة هود:** {وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥} [سورة هود:٨٥]، **وفي سورة العنكبوت:** {وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ} [سورة العنكبوت:٣٦]، جاء النهي في الآيات الكريمة على سبيل النصح والإرشاد الذي يقتضي الوجوب، وفي جملة النهي إغراء لهم في قوله: {ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥} [سورة الأعراف:٨٥]، "ولقد قال قبل الشرط {ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ}، مسارعة إلى بيان أن هدفه نصحهم فهو يغريهم بالقبول أولاً، ثم تناول معنى في الشرط مرة ثانية تأكيداً للنصح وزيادة في الإغراء، لكنه وضع للمعنى في المرة الثانية شرط الإيمان والتصديق إشارة إلى التخلي عن تلك المعايب الخلقية الاجتماعية ينبغي أن تكون في

إطار الإيمان بالله والتصديق برسالته"(١)، ونجد الدقة في اختيار لفظة (تعثوا) إذ أن معناها في الأصل لما اضطرب من الأمور يقال: " العثا للشعر الجافي المشعث، والعثا لما تشعث من النبات...، وقالوا: عثا المشيب في الرأس أي أفسد"(٢)، فالدقة هنا تتضح في الكلمة، فهي أبلغ في التعبير **عن الفساد،** {وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ} أي لا يكثر فسادكم **ولا يتشعث في البلاد ولا يتفرق بين العباد.**

الموضع الثاني: قوله تعالى في سورة الأعراف: {وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗا} **[سورة الأعراف:٨٦]**، جاء هذا النهي معطوفاً على النهي السابق على سبيل النصح والإرشاد.

الموضع الثالث: في قوله تعالى: {وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ}، جاء النهي في سياق التهديد والتوبيخ.

٤- دلالة التنكير: في مقاطع الآيات السابقة تعددت أساليب التنكير، وقد جاءت في عدة مواضع:

الموضع الأول في قوله تعالى: {مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ}، وتكررت في مقاطع السور الثلاث، فجاء تنكير كلمة {□} في سياق النفي للدلالة على التعظيم والتفخيم، فجاء النفي بشكل قاطع بأنه لا إله إلا الله ولا شريك له في الألوهية.

الموضع **الثاني: في قوله تعالى:** {قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ} جاء التنكير في مقطع سورة الأعراف، وتكرر في مقطع سورة هود في سياق مختلف يأتي في الوجه الثالث، ودلالة التنكير في هذا الموضع إشارة إلى أنها من نوع خاص متميز عن سائر البينات يعرفه المخاطب، وشعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ "لم يأت من غير بينة، ولم يأت ببينة من عنده، بل بحجة {مِّن رَّبِّكُمۡ} شاهدة على صدقه، ويشير التجوز الإسنادي أيضاً إلى أنها حجة ملزمة لا عذر لكم في إنكارها؛ لأنها تبين عن نفسها بقوتها وظهورها، ولعل هذا وراء التعبير بلفظ (بينة) دون آية أو حجة"(٣)، فأفاد التنكير هنا التعظيم.

---

(١) **الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٦٣).**
(٢) **معجم ألفاظ القران الكريم (٢ / ١٢).**
(٣) **الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٢٧٤، ٢٧٥).**

الموضع الثالث: في قوله تعالى في مقطع سورة هود: {أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى}، وقد جاء التنكير هنا مفيداً التقليل أي أن بينة واحدة كافية؛ لأن تعبدوا الله وتوحدوه

٥- دلالة الاستفهام: وقد أتى في مقاطع الآيات السابقة على عدة مواضع:

الموضع الأول: في قوله تعالى: {*قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ} جاء الاستفهام

أقرب ما يكون من التعجب، فالمؤمنون مع شعيب يتعجبون من القوم الكافرين من عودتهم إلى الكفر بعد الإيمان أي "تُعِيدُونَنَا فِي مِلَّتِكُمْ فِي حَالِ كَرَاهَتِنَا أَوْ مَعَ كَوْنِنَا كَارِهِينَ"(١)، ويتضمن الاستفهام مع النفي أي لا يكون منا ذلك.

الموضع الثاني: في قوله تعالى: {قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ}، في هذا الموضع استخدمت أداة الاستفهام الهمزة، وقد جاء أسلوب الاستفهام للدلالة على سخريتهم و إنكارهم الشديد لدعوة نبي الله شعيب عليه السلام "والاستفهام للتهكم والتندر، وهي روح تسري في سائر أجزاء عبارتهم من قولهم: {أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ}، وما فيه من تخييل أن الصلاة تتصرف في أمره وتوجهه وجهة معينة يرفضونها، وكأنها عندهم هذيان أو وسوسة شيطان مروراً بقولهم: {إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ}؛ ليدل على ثباتهم في الكفر ووقوفهم الصامد في الضلال والمكابرة"(٢).

الموضع الثالث: في قوله تعالى: {قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا} جاء الاستفهام بالهمزة في مقام الإنكار بالنفي، " أي لاَ نجْبِرُكُمْ بِالإِكْرَاهِ على اتِّباعِ مَا جئتُكُمْ به، فاتّباع الدين لا يكن إلاَّ بإرادةٍ اختياريّة، إذْ لا إكْرَاهَ في الدين " (٣).

الموضع الرابع: في قوله تعالى: {قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ}، جاء الاستفهام بالهمزة في مقام الإنكار التوبيخي والتعجب؛ لينبه السامع، فيرجع إلى

---

(١) البحر المحيط في التفسير (٥ /١١٢-١١٣).
(٢) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (١٤٢- ٤٠٨).
(٣) ينظر البلاغة العربية (١/ ٢٧٣).

نفسه فيخجل ويرتدع.

٦- التوكيد: جاءت أساليب التوكيد في مقاطع السور الثلاث في عدة مواضع:

الموضع الأول التوكيد باللام: قال تعالى: {قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴿٨٨﴾} [سورة الأعراف:٨٨]، وفي قوله تعالى: {لَنُخۡرِجَنَّكَ}، جاء التأكيد باللام الواقعة في جواب القسم مع نون التوكيد الثقيلة في {لَنُخۡرِجَنَّكَ}، وفي {لَتَعُودُنَّ}، وقد جاءا بدلالة التهديد إما العودة إلى ملتهم، أو إخراجه من القرية قال ابن عاشور: "فَأَكَّدُوا هَذَا الْعَوْدَ بِالْقَسَمِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ لَا مَحِيدَ عَنْ حُصُولِهِ عِوَضًا عَنْ حُصُولِ الْإِخْرَاجِ لِأَنَّ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ مُرْضٍ لِلْمُقْسِمِينَ، وَأَيْضًا فَإِنَّ التَّوْكِيدَ مُؤْذِنٌ بِأَنَّهُمْ إِنْ أَبَوُا الْخُرُوجَ مِنَ الْقَرْيَةِ فَإِنَّهُمْ يُكْرَهُونَ عَلَى الْعَوْدِ إِلَى مِلَّةِ الْقَوْمِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ شُعَيْبٍ فِي جوابهم: أَوَلَوْ كُنَّا كارِهِينَ وَلَمَّا كَانَ الْمَقَامُ لِلتَّوَعُّدِ وَالتَّهْدِيدِ كَانَ ذِكْرُ الْإِخْرَاجِ مِنْ أَرْضِهِمْ أَهَمَّ، فَلِذَلِكَ قَدَّمُوا الْقَسَمَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَعَقَبُوهُ بِالْمَعْطُوفِ بِحَرْفِ (أَوْ)"(١).

الموضع الثاني التوكيد بإن: قال تعالى {وَٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾} [سورة هود:٨٤]، وقد جاء التأكيد من جهة المتكلم؛ لتقوية الجملة مقروناً بفعل (أراكم) للمبالغة وتكرار التأكيد للفت انتباههم.

الموضع الثالث التوكيد بإن واللام: في قوله تعالى: {قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗا}، جاء التأكيد مبالغة في الوصف والاتهام بالضعف، "وذكر فعل الرؤية هنا للتحقيق بحيث نزلوه منزلة من يظنون أنهم لا يرون ذلك بأبصارهم، فصرحوا بفعل الرؤية، وأكدوه بـ(إن) ولام الابتداء مبالغةً في تنزيله منزلة من يجهل أنهم يعلمون ذلك فيه، أو من ينكر ذلك." (٢)

٧- التقديم والتأخير: جاء التقديم والتأخير في موضعين:

الموضع الأول: قال تعالى في سورة الأعراف: {وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٢/١٤٩).

شُعَيۡبًا قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ}، وقد تكرر في سورة هود أيضاً، وجاء الأسلوب هنا بتقديم الجار والمجرور على المنصوب الذي أفاد معنى القصر والاختصاص.

الموضع الثاني: قال تعالى: {مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ} قدم قومه؛ لأنهم المقصودون بالحديث وفيها تشويق للمبتدأ المؤخر فأصلها في غير القران ما إله لكم غيره، "وتقديم المسند هنا يفيد التقوية والتأكيد خاصة عندما يكون المسند جاراً ومجروراً والمسند هنا هو الجار والمجرور(لكم) على المسند إليه (من إله).

و(غيره) صفة المسند إليه، وهذا التقديم يؤكد نفي الشركاء ويقويه فضلاً عن التوكيد الحاصل من القصر بالنفي وغير؛ لأن المعنى مالكم من إله إلا إياه، ومقام إنكار القوم هذه الحقيقة وغرابتها عنهم أقتضى تأكيداً مضاعفاً في جملة موجزة بالنفي والاستثناء "(١).

٨- القصر: جاء القصر في مقاطع السور في هذا المبحث في موضعين:

الموضع الأول: قال تعالى في سورة الأعراف: {وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ} **[سورة الأعراف:٨٩]**، جاء أسلوب القصر في هذا الموضع بالنفي والاستثناء فعودتهم مقصورة على مشيئة الله تعالى لهم نافياً ما عدا ذلك.

الموضع الثاني: قوله تعالى على لسان شعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: {وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨} [سورة هود:٨٨]، جملة قصرية قصر فيها التوفيق على الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وهو من قصر الصفة على الموصوف بحيث لا تتعدى هذه الصفة إلى موصوف آخر، وهو من القصر الحقيقي: " فالتوكل مقصور على الله ولا **يتعداه لغيره**، كما أن الإنابة مقصورة عليه دون غيره إشارة إلى استعصام شعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ **بالله وحده**، وفيه تفويض الأمر إليه "(٢).

٩- **الاستعارة: جاءت الاستعارة في قوله تعالى: {إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ}، والمراد** " السفيه الغوي حيث شبه السفه والغي بالحلم والرشد، ثم استعير: الحلم والرشد للسفه والغي، واشتق منها، حليم ورشيد، بمعنى سفيه وغوي على سبيل

---

(١) **معاني القران للفراء (٣٨٢/١)، والحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٢٧، ٢٨).**

(٢) **الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٩٧).**

الاستعارة والتبعية التهكمية "(١).

١٠- المجاز العقلي: وقد جاء في موضعين:

الموضع الأول: في قوله تعالى: {قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ}، "في هذا الإسناد مجاز عقلي لتصوير البينة؛ لأنها من البيان والظهور وكأنها آتية تعلن عن نفسها، وفي ذلك إشارة إلى تجرد الرسول من المصلحة الشخصية؛ لأنه لم يأت من غير بينة، ولم يأت ببينة من عنده بل بحجة {مِّن رَّبِّكُمْ} شاهدة على صدقه، ويشير التجوز الإسنادي أيضاً إلى أنها حجة ملزمة لا عذر لكم في إنكارها؛ لأنها تبين عن نفسها بقوتها وظهورها، ولعل هذا وراء التعبير بلفظ {بَيِّنَةٌ} **دون اية أو حجة** "(٢)، يقول الألوسي: "وإسناد الإتيان إليه _ يعني القران المعبر عنه بالبينة – مع جعلهم إياه مأتياً به للتنبيه على أصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبينة "(٣).

الوجه الثاني: في قوله تعالى {وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ}، "ومحيط وصف ليوم على وجه المجاز العقلي، أي محيط عذابه، والقرينة هي إضافة العذاب إليه"(٤).

١١- الحذف: وقد جاء في موضع واحد في قوله تعالى: {قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾}، وحذف القسم هنا " للتعجيل بالمراد بقصد التهديد، ثم حذف الجملة بعد همزة التقرير، فالتقدير: أتعيدوننا في ملتكم ولو كنا كارهين، وقد حذف ما حذف بعد الهمزة لدلالة ما قبله من كلام الخصم عليه، ومسارعة في المراد من إيقاع **هؤلاء**

---

(١) علم البيان دراسة تحليلية لمسائل علم البيان تأليف د. بسيوني (١٨٣).

(٢) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٢٧٤، ٢٧٥).

(٣) روح المعاني للألوسي (١٦/ ٢٥٨).

(٤) التحرير والتنوير (١٢ / ١٣٧).

المستكبرين في الحرج؛ لأن المراد تقريرهم بأن ذلك العود في أية حالة حتى مع الكراهة ولو أقروا به لكان اعترافاً ضمنياً منهم بظلمهم وجورهم، فالحذف إذن لدلالة السياق عليه والتعجيل بإيقاع الخصم في الحرج، وكراهة جريان اللسان بلفظ العود لكراهة نفوسهم له"[1].

١٢- أسلوب التغليب: وقد جاء في الآيات في موضعين:

الموضع الأول: في قوله تعالى: {قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ} **إسناد القول إلى جميع القوم مع أن القائلين قد يكونون أفراداً، فجاء إسناد القول بدلالة التغليب.**

الموضع الثاني: في قوله تعالى: { أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ } شعيب ﷺ لم يكن في ملتهم أصلاً، فجاء "بحكم التغليب؛ لأن شعيب ﷺ لم يكن في ملتهم أصلاً حتى يقال: أنه يعود فيها، وإنما غلب عليه الذين ءامنوا معه، فعد منهم، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: أو ليعودن "(٢).

الفرق بين حوار شعيب عليه السلام في سورة الأعراف وسورة هود:

القصة إجمالا في سورة الأعراف وسورة هود فيها مواطن تشابه ومواطن اختلاف، وكل موطن في كل سورة ناسب سياقه الذي جاء فيه، ومن هذه المواطن ما يلي:

أولاً: في سورة الأعراف **قال:** {فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ} أما في الأعراف فيشيع فيها أمور الاعتقاد ومحاربة الفساد وموقف قومه من ذلك، فما قاله في الأعراف، **ولم يذكره في هود:** {قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ}، **وقوله تعالى:** {وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ}، **وقوله تعالى:** {وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗا}، ولم يذكر ذلك في سورة هود، فناسب ذكر المصدر { عِوَجًا } في الأعراف، فذكر من صفات قوم شعيب السيئة أكثر وأشد مما ذكره في سورة هود "(٣).

ثانياً: قال في الأعراف: {قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا

---

(١) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (٦٦، ٦٥).
(٢) علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل علم العاني (٢٧٤)
(٣) من أسرار البيان القرآني، د. فاضل السامرّائي (٣٠١).

كَٰرِهِينَ} "فتوعدوه بإخراجه من قريته مع من آمن معه إلا أن يعودوا في ملتهم وأقسموا على ذلك بقولهم: {لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ}، فجاء باللام الواقعة في جواب القسم مع نون التوكيد الثقيلة.

وأما في سورة هود، فقد قالوا: {وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗا}، فهم لم يتوعدوه بالرجم، وإنما قالوا: أن الذي يمنعهم من رجمه وجود رهطه، فإن {لو} حرف امتناع لوجود، فهم لا يرجمونه لوجود رهطه، وأما في الأعراف فلم يمنع الذين استكبروا من إخراجه وجود رهطه"(١).

ثالثاً: في سورة الأعراف قال: {وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ}، فوصف الملأ بالكفر بينما في سورة هود وصفهم بالظلم {وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ} [سورة هود:٩٤]، والكفر أشد من الظلم، فناسب السياق في سورة الأعراف ذكر الكفر لعظم ما فعلوه مع نبي الله من الصد والاستكبار وناسب السياق في سورة هود ذكر الظلم، وهو أخف من الكفر.

رابعاً: في الأعراف قال: {فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ} [سورة الأعراف:٧٨]، وفي سورة هود قال: {فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ} "والرجفة أشد من الصيحة؛ لأن الرجفة هي الزلزلة، وهو المناسب لعظم سيئاتهم"(٢).

خامساً: قال في الأعراف: {فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ}، وفي سورة هود: {فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ}، "فأفرد الرد في سورة الأعراف وجمعها في سورة هود؛ ذلك أن الصيحة يبلغ مداها أبعد من الرجفة، فجمع الدار، فقال ديار"(٣).

---

(١) – مرجع سابق من أسرار البيان القراني (٣٠٤)

(٢) من أسرار البيان القرآني (٣٠٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم (١٧٢/٤)، ومن أسرار البيان القرآني (٣٠٦).

القوم والملأ في حوار موسى عليه السلام مع قومه

الموضع الأول:

{وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾} [سورة البقرة:٥٤].

إن المتأمل في قصة سيدنا موسى مع قومه لا يخفى عليه كم قاسى هذا النبي الكريم من تعنت وصد من قومه لذلك كان هذا النبي العظيم من أولو العزم من الرسل والآية وردت في سياق قصته مع قومه وحواره معهم وورد لفظ القوم هنا لأن الحديث للعموم وقد ناسبت سياقها وموضعها.

وقد اتسم الحوار بخصائص بلاغية منها:

النداء: في قوله: {يَٰقَوْمِ}، وعرض النداء هنا "إيذانًا بالتحنن عليهم، وبأنه منهم وهم منه وهزًا لهم لقبولهم الأمر بالتوبة بعد تقريعهم بأنهم ظلموا انفسهم "(١).

–التأكيد: أكد ظلمهم؛ لأنفسهم بنون التوكيد في قوله: **{إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ}**، ونلمح التوكيد أيضاً في تكرار لفظة **{بَارِئِكُمْ}** "فتظل دعوة موسى سالكة طريق المهادنة، وهذا واضح من إيثار لفظ **"البارئ"** دون الصفات الأخرى في قوله: **{فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ}**، **{ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ}**، ففيها دعوة رقيقة، للفتهم إلى النشأة العجيبة التي خلقهم الله عليها براء من التفاوت والعيوب، وعلى الرغم مما في صفة البارئ من لفت لين رقيق، فإنها قد حملت معاني زاجرة ممزوجة بالرقة يقول الزمخشري: "فيه تقريع بما كان منهم من ترك وعبادة العالم الحكيم، الذي برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر إلى عبادة البقر التي هي مثلٌ في الغباوة والبلادة، وفيها تنبيه على عظم جرمهم، وقد لمح الشيخ ابن عاشور من لفظ البارئ معنى التحريض من موسى لقومه على التوبة؛ لأنها رجوع عن المعصية، ففيها معنى الشكر، وكون الخلق على مثال متناسب يزيد تحريضًا على شكر الخالق، ففي التعبير بالبارئ إذن، كما

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية (١٦/٢٦٢،٢٦١).

يقول البقاعي: "ترغيب لهم في طاعته بالتذكير والإحسان، وترهيب بإيقاع **الهوان**"[1].

-الحذف: قوله تعالى: {ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ} [سورة البقرة: ٥١]، حذف مفعول الاتّخاذ الثاني لدلالة السياق عليه، أي اتخذتم العجل من بعده إلهاً، وفي هذا الحذف ضغط للكلام ينأى به عن الفضفضة المبذولة.

الموضع الثاني

{وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [سورة البقرة: ٦٠].

وجاء اللفظ هنا قومه وناسبت موقعها؛ لأنه يدعو الله أن يسقي قومه، فالدعاء هنا لابد أن يكون للقوم جميعاً، فلا يصلح الدعاء للملأ دون القوم، كما أنها معجزة من معجزات موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فناسب أن تكون للقوم جميعاً لا أن تكون للملأ.

وقد اتسمت الآية بخصائص بلاغية منها:

-اختيار الفعل: {فَٱنفَجَرَتْ} دون غيرها للدلالة على تأكيد السرعة والقوة في استجابة الله.

-أسلوب الأمر في قوله: {كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ}، فقد خرج أسلوب الأمر هنا من مقتضاه الحقيقي إلى معنى مجازي، وهو الامتنان، فهو يمنن عليهم بنعم الله عز وجل التي أغدقها عليهم.

-الإيجاز: في قوله: {كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟} في الآية إيجاز بالحذف، حيث حذف مفعول الأفعال {كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟}لإفادة العموم والشمول.

-الإيجاز بالحذف في قوله: {فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ}، **فانفجرت** والتقدير، فقلنا اضرب بعصاك الحجر، فضرب بعصاه الحجر فانفجرت.

" فحذف جملة ضرب، وحذفها يشير إلى سرعة إجابة موسى **وامتثاله أمر ربه، كما ينبئ بأن الانفجار مسبب عن الأمر {ٱضْرِب}**وما صنعه موسى إنما هو أخذ بالأسباب"(٢).

---

(١) الطير والحيوان في النظم القرآني دراسة بلاغية د. محمد البهلول ١٨٩، ١٩٠.

(٢) علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل علم المعاني، بسيوني (١/ ٥٠١)

وقد جاءت لفظة القوم في حوار سيدنا موسى عليه السلام مع قومه في أكثر من موضع في القران الكريم؛ لتدل على نفس المعنى، وفيما يلي ذكر الآيات التي ذكر فيها لفظ القوم ومشتقاتها.

سورة البقرة : {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾} [سورة البقرة:٦٧].

سورة المائدة: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾} [سورة المائدة: ٢٠-٢٢].

سورة الأعراف: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾} [سورة الأعراف:١٣٣].

وقوله تعالى: {وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾} [سورة الأعراف:١٣٧-١٣٨].

وقوله: {وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾} [سورة الأعراف:١٤٥].

وقوله: {وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِمْ مِّنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾} [سورة الأعراف:١٤٨].

وقوله: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ

﴿١٥٠﴾} [سورة الأعراف:١٥٠].

وقوله: {وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾} [سورة الأعراف:١٥٥].

وقوله: {وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾} [سورة الأعراف:١٥٩].

سورة يونس: {فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾} [سورة يونس:٨٣-٨٤].

سورة إبراهيم: {وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٦﴾} [سورة إبراهيم:٦].

سورة طه: {وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ * وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾} [سورة طه:٧٩-

٨٨].

سورة المؤمنون: {فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾} [سورة المؤمنون:٤٧].

سورة الفرقان: {وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ﴿٣٥﴾ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ﴿٣٦﴾} [سورة الفرقان:٣٥-٣٦].

سورة الشعراء: {وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾} [سورة الشعراء:١٠-١١].

سورة النمل: {وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾} [سورة النمل:١٢].

سورة الصافات: {وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١١٥﴾} [سورة الصافات:١١٤-١١٥].

سورة الدخان: {* وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾} [سورة الدخان:١٧].

سورة الصف:{وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾} [سورة الصف:٥].

ومما سبق يتضح أن لفظة القوم ومشتقاتها وردت في قصة سيدنا موسى ﷺ مع قومه في مواضع كثيرة، وهي مقسمة كالآتي:

سورة البقرة (٣) مواضع في الآيات (٥٤، ٦٠، ٦٧)، وسورة المائدة (٣) مواضع في الآيات (٢٠-٢٢)، وسورة الأعراف (٧) مواضع في الآيات (١٣٣، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٩)، وسورة يونس في موضعين في الآيتين (٨٣، ٨٤)، وسورة ابراهيم موضع واحد في الآية (٦)، وسورة المؤمنون موضع واحد في الآية (٤٧)، وسورة طه (٥) موضع في الآيات (٧٩، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧)، وسورة الشعراء موضع واحد في الآية (٣٦)، وسورة الفرقان موضع واحد في الآية (٤٧)،، وسورة النمل موضع واحد في الآية (١٢)، وسورة الصافات موضع واحد في الآية (١١٥)، سورة غافر على لسان مؤمن آل فرعون (٥) مواضع في الآيات من (٢٩- ٤١) وسورة الزخرف موضع واحد في الآية (٥١) وسورة الدخان موضع واحد في الآية (١٧)، الصف موضع واحد في الآية رقم (٥).

وجميع هذه المواضع ذكر فيها لفظة القوم مفردة دون لفظة الملأ؛ لأن جميع

السياقات أتت في سياق الحديث للقوم جميعاً، ولم يختص فئة معينة **منهم فعلى سبيل الاستشهاد لا الحصر نجد أن السياقات السابقة جاءت بلفظ القوم فقط لاقتضاء السياق لها واستدعاءه إياها.**

ففي سياق التذكير بنعمة الله لابد من ذكر القوم دون الملأ؛ لأن نعم الله عَزَّوَجَلَّ للقوم جميعاً، فلم يؤثر إنساناً دون آخرين، كما جاء في قوله: {يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ} [سورة المائدة:٢٠]، وقوله: {وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ} [سورة إبراهيم:٦].

وفي سياق الحديث عن إجرام قوم فرعون وظلمهم وفسوقهم وإضلال فرعون لهم كان الأنسب ذكر القوم دون الملأ لأن فرعون أضل قومه جميعاً ففي قوله: {وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣} [سورة الأعراف:١٣٣].

وقوله: {وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨} [سورة الأعراف:١٤٨]، وقوله: {وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ٧٩} [سورة طه:٧٩]، وقوله: {وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ } [سورة الشعراء:١٠]، وقوله: {وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ١٢} [سورة النمل:١٢].

ويتكرر لفظ القوم مع مؤمن آل فرعون حين وجه نصائح متعددة إلى قومه الكاذبين، وهي نصائح نابعة من قلب خالطه الإيمان ونفس زكاها الإسلام، فكان الأنسب ذكر القوم دون الملأ، ومن ذلك قوله: {يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ} [سورة غافر:٢٩]، وقوله: {وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠} [سورة غافر:٣٠]، وقوله: {وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢} [سورة غافر:٣٢]، وقوله: {يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ} [سورة غافر:٣٩]، وقوله: {مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠} [سورة غافر:٤٠]، فنجد أن الآيات السابقة ذكرت لفظ القوم فقط، وكلها تدور في حديث موسى مع قومه وحوار موسى مع قومه كفيل بأن تقوم حوله دراسة مستقلة؛ لكني أشرت إليه هنا في عجالة؛ لأن اهتمام بحثي كان حول القوم والملأ مقرونين ومجتمعين، وقد أشرت إلى بعض الخصائص البلاغية في موضعين فقط

لاتضاح المسلك الحواري فيهما، وعلى سبيل **الاستشهاد.**

أما لفظة الملأ في حوار سيدنا موسى عليه السلام مع قومه، فقد جاءت مقترنة مع لفظة القوم في مواضع وبدون اقتران في مواضع أخرى، واللفظة ومشتقاتها وردت في ثمان سوروهي:

الأعراف في ثلاث مواضع في الآيات (١٠٣، ١٠٩، ١٢٧) يونس في ثلاث مواضع في الآيات (٧٥، ٨٣، ٨٨)، وسورة هود في الآية رقم(٩٧)، وسورة المؤمنون في الآية رقم (٤٦)، وسورة القصص في الآية رقم (٢٠)، وسورة الشعراء في الآية رقم (٣٤)، وسورة الزخرف في الآية رقم (٤٦).

وقد جمعت خمس سور بين اللفظتين القوم والملأ وهي (الأعراف ويونس والشعراء والزخرف) وفيما يلي هذه المواضع:

الموضع الأول:

{قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ١٠٩ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ١١٠} [سورة الأعراف:١٠٩-١١٠].

وقوله: {وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ} [سورة الأعراف:١٢٧].

وقوله: {ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٧٥} [سورة يونس:٧٥].

وقوله: {فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٨٣} [سورة يونس:٨٣].

وقوله: {ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٤٥ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ٤٦ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧} [سورة المؤمنون:٤٥-٤٧].

في هذه المواضع ورد لفظ القوم والملأ فلفظة القوم أتت منسجمة مع سياقها في الآيات؛ لأن سياق الحديث للعموم والشمول، ولما جاء الحديث في سياق الاتهام جاء التعبير بلفظ الملأ دون القوم؛ لأن من القوم من آمن لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وكذلك في موطن التحريض حرض الملأ فرعون على موسى وقومه الذين امنوا معه، فقد اتهموا موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بالسحر والإفساد في الأرض، فرد عليهم فرعون بأنه سيقتل أبناءهم ويستحي نساءهم، وقد ناسبت اللفظة موضعها، فالحديث من الملأ وليس القوم؛

لأنهم هم أصل الاعتراض في كل عصر ومصر.

وقد اتسمت الآيات بخصائص بلاغية منها:

- **المجاز المرسل: في قوله: {قَالَ ٱلْمَلَأُ} نوع من المجاز المرسل، فقد يكون البعض قال والبعض لم يقل، بل سكت؛ ولكنه عندما سكت شمله الحكم بالموافقة على رأى الجميع، ونسبة القوم إلى فرعون يعطي دلالة قوية على** اتباعهم **له.**

- التأكيد: بـ(إنَّ، واللام) وتوظيف الإشارة التي توحي بأنهم كانوا ينظرون إلى موسى نظرة الاحتقار، والدونية، فخاطبوه بهذا دون ذكر اسمه إمعانًا في السخرية والتحقير لشأنه، وزادوا في الوصف بصيغة المبالغة (عليم)؛ لتدل على براعته في السحر، وهذا يزيد من تأكيد قولهم، (استخدام المضارع يريد.. يخرجكم) للتجدد في رغبة موسى، ودلالة الضمير (كم) تؤكد أنها أرضهم، ولهم فيها الحق، فكأنه يقدم لهم الدافع في قتال موسى أو تعذيبه، فقدم السبب، ولم يقرر منفردًا العقاب، بل جعلهم من يقرر حتى يكسب دعمهم، وكأنه ينفذ إرادتهم، وليست رغبة نفسه.

- **الاستفهام: في قوله: {فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} استفهام لحثهم على اتخاذ قرار رادع ضد موسى، وفي نفس الوقت الفعل تأمرون.. جعلهم هم الآمرون، وهو المنفذ، فكأنه حريص على تنفيذ أوامرهم وحماية أرضهم، التركيب بماذا ثم الفعل جعلهم أمام خيار واحد، فهم لا يتوجهون للتفكير والنظر في صحة دعوة فرعون، بل يفكرون في نوع العقاب.**

-استفهام استنكاري تعجبي فيه حث لفرعون لمنع فساد موسى وحماية أرضهم كما يزعمون، والاستفهام منبهاً للمقصود يقول الزمخشري: "وقرئ ويذرك والهتك بالرفع عطفاً على أتذر موسى بمعنى: أتذره ويذرك يعني تطلق له ذلك"[1]، "والاستفهام هنا يعطي للكلام صورة الخبر لإبراز الترك حاصلاً الحال بغرض تحريض فرعون وإثارته، وهذا يشير إلى أن الغرض من الاستفهام هو التحريض، فيكون سر الحذف منبهاً للغرض من الاستفهام، وقد جاء جواب فرعون متضمناً ما يشير إلى استجابته للتحريض والإثارة"[2].

- **المبالغة: في قوله: {سَنُقَتِّلُ } للدلالة على المبالغة والكثرة، والترتيب في العقاب الذي أعده فرعون لموسى (القتل للأبناء فهو عقاب روحي؛ لأن قلوب الآباء تتعلق بالأبناء، ثم يقضي على كرامتهم وعرضهم باستحياء النساء، ثم يقهرهم ولم يقل نقتلهم)، وكأنه رتب لهم عقابًا أشد من القتل، (دلالة فوقهم) تتناسب مع القهر الذي يستخدمه فرعون؛ لأن القهر لا يكون إلا**

---

[1] **الكشاف (٢/ ١٠٤).**

[2] **الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (١٥٠).**

ممن له قوة وعلو وسطوة)، (وإنا فوقهم) تعظيم فرعون لنفسه وملئه.

الموضع الثاني:

{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾} [سورة الأعراف:١٠٣].

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾} [سورة هود:٩٦-٩٧].

{قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾} [سورة الشعراء:٣٤-٣٥].

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾} [سورة الزخرف:٤٦].

في هذه الآيات أتى لفظ الملأ ويعني الحاشية وعلية القوم وبطانة فرعون، فكان من البديهي أن يبدأ سيدنا موسى عليه السلام بفرعون وحاشيته؛ وذلك لما جاء من قبل في قصة سيدنا موسى، حيث رُبي في قصر فرعون، وكان على دراية بحاشية فرعون وجاء ردهم كما هو مذكور في الآيات من الأعراض والتشكيك في الدعوة، ونصح فرعون بالتخلص ممن آمن مع موسى عليه السلام.

وقد أتسم الحوار في الآيات السابقة بخصائص بلاغية منها:

- دلالة الوصل: في عطف {فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ}، وكأنها إرادة منفصلة صارت مجتمعة، فرغم أن الملأ له كيان منفصل إلا أنه صار تابعًا لإرادة فرعون، فشملهم العطف.

- {فَظَلَمُوا۟ بِهَا} الفاء التي أفادت السرعة في الترتيب والتعقيب على سوء الفعل وسرعة حدوثها، فكان عقابهم ناتج عن ظلمهم.

-التعريف بالعلمية: في اختيار (موسى) دون ألقاب أو أوصاف، فالتعريف به سابق، فكأنه يقول موسى الذي تعرفونه، وفرعون الذي تعرفونه، كما أن ذكر العلم هنا متجردًا من الألقاب؛ لأنه مكلف بتنفيذ أمر، فهو مرسل بأمر من الله.

-إثبات صيغة الجمع: في قوله: {بِـَٔايَٰتِنَآ} للدلالة على الكثرة، و(نا) تكررت لنسبتها إلى الله والتأكيد على هذه النسبة لله، فموسى لم يتحرك بإرادته، بل وفق تكليف إلهي.

-دلالة الأمر: {فَٱنظُرْ} مع الاستفهام (كيف)، وهو استفهام يحمل غرضين مختلفين أحدهما: الزجر والتهديد، وثانيهما: الاعتبار والاتعاظ من عاقبة الظلم، {ٱلْمُفْسِدِينَ} استخدام المفسدين بمعنى الظالمين، وهذا لتناسب المعنى بين اللفظتين.

-التوكيد والاستعارة: في قوله: {وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا} للتوكيد، {بِـَٔايَٰتِنَآ} استعارة، وكأنها شيء مادي يحمله موسى إلى فرعون وقومه، (إني) للتوكيد، الإضافة {رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} للتوكيد والتخصيص الذي يبين أنه مرسل بأمر إلهي.

{وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٨٨} [سورة يونس:٨٨].

جاءت في هذه الآية لفظة الملأ، وقد ناسبت مكانها ولاءمت موضعها؛ لأن الحديث جاء في سياق الأموال والزينة، فالمال والزينة تكون عند الوجهاء وكبار القوم ولا تأتي عند القوم جميعاً.

وقد اتسمت الآية بخصائص بلاغية منها:

-النداء: في قوله: {رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ}، فقد جاء بغرض الدعاء والطلب.

-التأكيد والاستعارة: في قوله: {إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ}، ولم يقل أعطيت أو منحت، وهى تصنع استعارة، فكأن المأتي به هو إنسان يمشي على قدميه.

-وتقديم الزينة على الأموال؛ لأنها أشد وضوحًا ووقعًا وتأثيرًا في العامة.

-الكناية: في قوله: {سَبِيلِكَ} كناية عن طريق الحق والهدى.

- التكرار: قوله: {رَبَّنَآ} للتأكيد والإلحاح على الطلب، تقديم السبب على النتيجة {ٱطۡمِسۡ - وَٱشۡدُدۡ}.

-أسلوب الأمر: في قوله: {ٱطۡمِسۡ - وَٱشۡدُدۡ} غرضه الدعاء على فرعون وقومه، والطمس مبالغة في المحو والازالة للمال، والفعل اشدد يدل على القسوة والشدة وربطه بغاية وتتمثل في العذاب الأليم، والعجيب رغم رغبته بأن يؤمنوا وحرصه على دعوة قومه إلا أنه هنا يجعل لذلك شرطًا يتمثل في تعذيبهم ثمنًا للوصول لهذا الإيمان، وهذا يدل على شدة ما واجهه من صعوبة معهم.

الموضع الرابع:

{وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠} [سورة القصص:٢٠].

جاءت في هذه الآية لفظة الملأ في سياق التآمر والغدر لقتل موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وقد ناسبت موضعها في السياق؛ لأن التآمر على موسى جاء من كبار القوم ولم يأت من القوم جميعاً.

وقد أتسمت الآية بخصائص بلاغية منها:

- التنكير: في قوله: {رَجُلٞ} تنكير للدلة على إمكان تكرار القصة، وأنَّ العبرة تتمثل في الحدث لا الشخص، فليس مهمًا معرفة من هو بقدر أهمية سبب

حضوره.

- {أَقْصَا} للدلالة على بعد المسافة وزاد من هذه الدلالة التي تبين المشقة للقدوم.

- {يَسْعَىٰ} جاءت بالمضارع للدلالة على التجدد والاستمرار.

ولم يكن ذكر القوم في حوار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه فقط، بل ذكر في سياقات حوار مؤمن آل فرعون مع قومه واختارت السياقات لفظ القوم دون الملأ؛ لأن نصح مؤمن آل فرعون كان نصحاً عاماً للقوم جميعاً، فلم يؤثر به فرداً دون آخر؛ لذا لم يكن من المناسب ذكر لفظ الملأ، فاختار السياق ما هو أنسب وأليق، وانظر تلك السياقات:

سورة غافر: {يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾} [سورة غافر:٢٩-٣٢].

وقوله:{يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ * وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾} [سورة غافر:٣٩-٤١].

سورة الزخرف: {وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾} [سورة الزخرف:٥١].

الفصل الثاني:
(مقامات ذِكْر القوم والملأ في سياقات أخرى متنوعة)

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول:
(الملأ) في سياق حوار ملك مصر معبري الرؤى.

المبحث الثاني:
(الملأ) في سياق حوار بِلقيسَ قومَها.

المبحث الثالث:
(الملأ) في سياق الحديث عن استراق الشياطين للسمع من السماء.

المبحث الرابع:
(الملأ) في سياق وصايا المشركين بعضهم بعضاً.

المبحث الخامس:
(الملأ) في سياقات أخرى متباينة..

الملأ حوار ملك مصر مع معبري الرؤى

جاء حوار ملك مصر مع قومه في سورة يوسف، وقد ورد لفظ الملأ في آية واحدة في قوله تعالى: {وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣} [سورة يوسف:٤٣] في هذا الحوار جاء التعبير بلفظ الملأ دون لفظ القوم؛ لأن طلب تفسير الرؤيا لابد أن يكون من الكبار والوجهاء وأصحاب العلم، فليس من المعقول أن يطلب من القوم جميعاً تفسير رؤيا الملك، وقد ناسبت موضعها ولاءمت سياقها، وقد اتسم الحوار بخصائص بلاغية منها:

-دلالة التعريف: في (الملك) و(للرؤيا)، فقد عرف المسند إليه، وهو تعريف بالعهد؛ لأنه معروف لكم و" التعريف في قوله للرؤيا تعريف العهد، والمعهود الرؤيا التي كان يقصها عليهم على طريقة إعادة النكرة معرفة باللام أن تكون الثانية عين الأولى. والمعنى: إن كنتم تعبرون هذه الرؤيا"[1].

-(قال) استمرار الحوار في هيئة السؤال والجواب وهو تأكيد لديناميكية القصص القرآني، ذكر مسبقًا.

-دلالة التأكيد: في قوله تعالى: {إِنِّيٓ أَرَىٰ}، وقد جاء التأكيد مقروناً بالفعل للتأكيد على الرؤيا.

- دلالة التعبير بالمضارع: في قوله: {إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ}، وقد جاء التعبير بالفعل المضارع دون الماضي لاستحضار الصورة الذهنية، و"حكاية للحال لشدة ما هاله من ذلك "[2].

-دلالة النداء: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ}، وقد خرج النداء مقروناً باسم الإشارة للحث وطلب المساعدة؛ لتفسير الرؤيا "وعظم الأمر الذي نودي من أجله وليبادر المنادى بالاستجابة"[3].

-دلالة الأمر: في قوله تعالى: {أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ}، وقد جاء أسلوب الأمر لغرض الرجاء والتمني.

-أسلوب الإيجاز بالحذف: في قوله تعالى: {سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ}، وقوله: {وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ} لدلالة السياق عليه.

-جاءت(إن) في قوله: {إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ} للشك والتلمس للهدف وهو العثور على من يستطيع تفسير الرؤيا.

---

(١) – مرجع سابق التحرير والتنوير (١٢ / ٢٨٢)

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤ / ٤٦).

(٣) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني ص (٤١٤).

الملأ في حوار بلقيس مع قومها.

جاء لفظ الملأ في حوار بلقيس مع قومها في آيتين من سورة النمل، وهما:

قال تعالى: {قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾} [سورة النمل:٢٩].

قال تعالى: {قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾} [سورة النمل:٣٢].

في هاتين الآيتين ذكر الملأ دون القوم؛ لأن الاستشارة تكون لأهل النهى، وعلية القوم، ولا تكون من القوم جميعاً فلاءمت سياقها وناسبت مكانها.

وقد أتسمت هاتان الآيتان بخصائص بلاغية منها:

-النداء: في قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا} في هذا النداء لفت وتنبيه وإشارة لتحريك نفوس الملأ واستمالتهم نحوها، وقد تكرر في الآيتين.

-التوكيد: في قوله تعالى: {إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ} للدلالة على "اهتمامها بمرسل الكتاب وبما تضمنه الكتاب"[(١)].

-حذف المسند إليه: في قوله تعالى: {إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ} جاء الحذف؛ "لأن في الكلام دليلًا عليه"[(٢)]، وتظهر عفة الهدهد التي ينبغي على الإنسان العاقل أن يتصف بها.

-التنكير: في قوله تعالى: {كِتَٰبٌ كَرِيمٌ}، وقد جاء تنكير كتاب هنا للتعظيم وزادته الصفة تعظيماً فوق تعظيم قال الرازي: "كتاب كريم فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: حسن مضمونه، وما فيه وثانيها: وصفته بالكريم لأنه من عند ملك كريم.
ثالثها: أن الكتاب كان مختوما "(٣).

-دلالة أسلوب الأمر: في قوله تعالى: {أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى}، وقد جاء أسلوب الأمر، لغرض الرجاء والتمني.

-دلالة النفي: في قوله تعالى: {مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا} دلالة على نفي الأمر في الماضي، فإنها فيما مضى لم تقطع أمرًا دون مشورتهم، { قَاطِعَةً } توظيف اسم الفاعل مع الاستعارة، فليس الأمر شيئًا ماديًا يقطع، ولكن المعنى اتخاذ قرارًا، كما دلَّ اسم الفاعل على

---

(١) – مرجع سابق التحرير والتنوير (١٩ / ٢٥٩)

(٢) معاني القران وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي (٤ /١١٧).

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤ / ٥٥٤).

الثبوت والاستقرار في حالها وثباتها على المشورة في نظام الحكم.

– دلالة استخدام الفعل المضارع: في قوله تعالى: {حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ}، فقد جاء المضارع للتجدد والاستمرار.

الملأ في سياق الحديث عن استراق الشياطين للسمع من السماء

جاء التعبير بلفظ الملأ في سياق الحديث عن استراق الشياطين السمع من السماء في آية واحدة في سورة الصافات، وفيما يلي دراستها:

قال تعالى: {لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨} [سورة الصافات:٨].

في هذه الآية جاء لفظ الملأ دون القوم والمقصود بالملأ في هذه الآية هم الملائكة، فليس من المناسب هنا التعبير بلفظ القوم.

وقد اتسمت هذه الآية بخصائص بلاغية منها:

–دلالة التشديد واختيار اللفظ المثقل في قوله تعالى: {لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ}.

–حذف المسند إليه من الفعل في قوله تعالى: {وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ} دلالة على التهويل.

الملأ في سياق الحديث عن وصايا المشركين بعضهم لبعض

جاء التعبير بالملأ في سياق الحديث عن وصايا المشركين بعضهم لبعض في موضعين من القران الكريم في سورة القصص وسورة ص، وفيما يلي دراسة كل اية على حده:

الآية الأولى:

قال تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾} [سورة القصص:٣٨].

في هذه الآية جاء التعبير بلفظ الملأ دون لفظ القوم، وقد ناسبت سياقها ولاءمت مكانها فخطاب فرعون جاء لحاشيته وكبار قومه.

وقد أتسم الحوار بخصائص بلاغية منها:

-دلالة النفي: في قوله تعالى: {مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى}، وقد جاء نفي العلم لإثبات الألوهية لنفسه، فإن نفي الشيء هو إثبات لنقيضه، (من) زائدة للتأكيد.

-أسلوب القصر: في قوله تعالى: {مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى}، وقد جاء لتوكيد أمر ألوهيته لهم.

-دلالة التنكير: {مِّنْ إِلَٰهٍ} نكرة للعموم والشمول أي ليس لكم أي إله.

-دلالة أسلوب الأمر: في قوله (أوقد – أجعل) جاء أسلوب الأمر " للإثارة والإلهاب والتهييج الذي يتصور منه خلافه "[1].

- دلالة الإضافة: في قوله: {إِلَٰهِ مُوسَىٰ} كناية عن عدم إيمان به، فأضافه إلى موسى.

-دلالة التأكيد: في قوله: {وَإِنِّى} للتأكيد، لكنه تبعه{لَأَظُنُّهُۥ} لتأكيد ظنه بكذب موسى، وكأنه نظرًا لعلمه بأن موسى لا يثبت عنه الكذب فيما مضى، فلم يستطع أن يجزم بكذبه الآن، واستخدام صيغة اسم الفاعل لتأكيد ثبات الكذب، فإن اسم الفاعل تصاحب الثبات ومبالغة من فرعون في رسوخ الكذب في نفس موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

الآية الثانية: قال تعالى: {وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ

---

[1] علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمائل علم المعاني (٣٦٧)

ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦} [سورة ص:٦].

جاء في هذه الآية التعبير بلفظ الملأ دون القوم؛ لأن النصح والإرشاد غالباً ما يكون من علية القوم، فقد جاءت مناسبة للسياق.

وقد جاءت في الآية خصائص بلاغية منها:

-دلالة التأكيد: في قوله: {إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ}" تعليل للأمر بالصبر على آلهتهم لقصد تقوية شكهم في صحة دعوة النبيء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنها شيء أراده لغرض أي ليس صادقا ولكنه مصنوع مراد منه مقصد "[1].

- دلالة الأمر: في قوله (امشوا – اصبروا) التعبير بالفعل الأمر جاء على سبيل النصح والإرشاد " أي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا {واصبروا على آلهتكم} أي واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح"[2]..

---

[1] التحرير والتنوير (٢٣ / ٢١٢).

[2] تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢١٥/٧).

الملأ في مواطن مختلفة

جاء لفظ الملأ في ثلاث مواطن مختلفة من القران الكريم، فقد جاء في سورة البقرة، وسورة النمل، وسورة ص، وفيما يلي دراسة كل آية على حده:

الآية الأولى:

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾} [سورة البقرة:٢٤٦].

جاءت في هذه الآية لفظ الملأ دون لفظ القوم، وقد ناسبت سياق الآيات؛ لأن الطلب أتى من كبار القوم الذي دل سياق الآية عليه.

وقد أتسمت الآية بخصائص بلاغية منها:

-دلالة الاستفهام: في قوله: {أَلَمْ} استفهام تعجبي واستنكاري يقتضي منهم النظر والاعتبار.

- {هَلْ عَسَيْتُمْ} استفهام للاستنكار والتعجب.

-دلالة الأمر: {ٱبْعَثْ لَنَا}، وقد خرج الأمر عن دلالته للتهكم والسخرية " كان قولاً باللسان ليس وراءه رصيد من الصدق؛ ولهذا توجس نبي الله في صدق النية، فقال: {هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟}، كما يُشير أنهم كانوا مغالطين مجترئين حين تمادوا بالكذب، و(ألا) تأكيد النفي، و(قد) للتوكيد.

- {وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا} التعبير كناية عن مدى الظلم الذي تعرضوا له.

الآية الثانية:

قال تعالى: {قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾} [سورة النمل:٣٨].

في هذه الآية جاء التعبير بلفظ الملأ دون القوم؛ لأن الحديث موجه للحاشية، وعلية القوم وليس موجه لجميع القوم.

وقد اتسمت الآية بالخصائص البلاغية التالية:

دلالة النداء: في قوله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟} في النداء لفت وتنبيه وإشارة للفت انتباههم وشحذ هممهم لطلب سرعة استجابتهم.

دلالة الاستفهام: في قوله تعالى: {أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا} استفهام يبدو أنه حقيقي، لكنه بغرض التنافس والحث على سرعة الاستجابة للأمر؛ لإحضار عرش بلقيس.

الآية الثالثة:

قال تعالى: {مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾} [سورة ص:٦٩].

في هذه الآية جاء لفظ الملأ دون القوم والمقصود بالملأ في هذه الآية هم الملائكة، فليس من المناسب هنا التعبير بلفظ القوم.

وقد جاءت في الآية الخصائص التالية:

-نفي الشيء هو إثبات لنقيضه؛ ولذا هنا تأكد الأمر بوجهين استخدام النفي مع التقديم والتأخير الذي {مِنْ عِلْمٍ} أسلوب للقصر بهدف تأكيد الأمر.

دلالة التعبير بالفعل المضارع {إِذْ يَخْتَصِمُونَ} الذي يدل على التجدد والاستمرار.

الخاتمة

بحمد الله تعالى وحسن توفيقه تَقرَّر من خلال هذا البحث المتواضع كثيرٌ من النتائج التي أهمُّها أنه:

١ – وردت كلمة (القوم) مُنْفَرِدَةً في كثير من السياقات القرآنية، حيثُ جاءت في حوالَي سبعةٍ وخمسين ومائتين موضعاً؛ وتلك الكثرةُ تَتَّسِقُ مع كونها أخصَّ بالأقوام المحكومين، وربما شملت معهم الحاشيةَ الحاكمة أو المسؤولين المُلْتَقِين حول الملوك– الذين يخاطبهم الأنبياء – عليهم السلام–.

٣ – جاءت كلمة (الملأ) منفردة في السياقات القرآنية في عشرة مواضع فقط؛ وتلك القِلَّةُ تَتَّسِق مع كونها خاصّة بالحاشية المقرَّبة من الملوك– الذين يخاطبهم الأنبياء – عليهم السلام–، ولا تشمل معهم عوامَّ الأقوام..

٤ – وردت كلمتا (القوم، الملأ) مُقْتَرِنَتَيْنِ في الحوار القرآنيّ في عشَرة مواضع فقط، وهذا الاقتران يَزيد كل كلمة منهما اختصاصا بمقصودها، وأن الأولى بالعوام أخصُّ، وأن الثانية بالحاشية أمسّ..

٥ – تَجَلَّتْ الدَّقَّةُ القرآنية في توزيع كَلِمَتَي (قوم، ملأ) على مواضعهما الأنسب لكلٍّ منهما حيث وَرَدَتا في الذكر الحكيم، فلا يمكن لأحد إحلالُ إحداهما مَحلَّ الأخرى وتؤدي إشاراتِها المقصودةَ منها بهذه الدِّقَّة الدقيقة.

٦ – أدت كل كلمة من كلمتي (القوم، الملأ) الدلالاتِ المطلوبةَ منها في السياقات القرآنية بدقة بالغة.

٧ – تجلى أن أكثر المواضع التي ورودت فيها إحدى هاتين الكلمتين (القوم، الملأ) في حوار الأنبياء أقوامهم جاء في حِوار نُوحٍ وهود وصالح وشعيب وموسى عليه السلام أقوامهم..

والله تعالى ولي التوفيق

المصادر والمراجع

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث.

٢- أسلوبية الحوار في القران الكريم، أ. د. رسول حمود الدوري جائزة دبي الدولية للقران الكريم.

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

٤- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر- بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٥- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٦- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٧- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٨- تفسير ابن كثير، المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

٩- الحوار في القرآن الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (رسالة دكتوراه)، د. محمد إبراهيم عبدالعزيز شادي - الطبعة: الأولى ١٤٣١ هـ - عدد الأجزاء: ١عدد الصفحات: ٣٨٣الناشر: دار اليقين للنشر والتوزيع، عالم الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠- درة التنزيل وغرة التأويل دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين الناشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

١١- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

١٣- الطير والحيوان في النظم القرآني دراسة بلاغية، د. محمد بن محمود الهلول رسالة دكتوراه، مخطوط في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر.

١٤- علم البيان دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، د. بسيوني عبدالفتاح فيود، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ٢٠١٥م.

١٥- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني - د بسيوني عبد الفتاح فيود (ط٤)مؤسسة المختارللنشروالتوزيع – القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
١٦- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: داروم‌كتبة الهلال.
١٧- فتح القدير للشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
١٨- الفروق اللغوية، للعسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشروالتوزيع، القاهرة – مصر.
١٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جارالله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دارالكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
٢٠- اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دارالكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.
٢١- لسان العرب، ابن منظور، المحقق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي دارالنشر: دارالمعارالبلد: القاهرة.
٢٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دارالكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.
٢٣- مختار الصحاح، الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيرت، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٢٤- معاني القران وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٢٥- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر الطبعة: الأولى.
٢٦- معجم ألفاظ القرآن الكريم (الجزء الأول) من الهمزة إلى السين، مجمع اللغة العربية، الناشر: مجمع اللغة العربية، مصر الطبعة: الثانية، ١٩٨٤م.
٢٧- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.
٢٨- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دارالفكر.
٢٩- من هدي القرآن، آية الله السيد محمد تقي المدرسي، الناشر: دار القارئ للطباعة والنشر. تأريخ الاصدار: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م تفسير بلاغي لسورة المؤمنون.
٣٠- النبأ العظيم، محمد بن عبدالله دراز، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع الطبعة: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٣١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمربن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دارالكتاب الإسلامي، القاهرة.